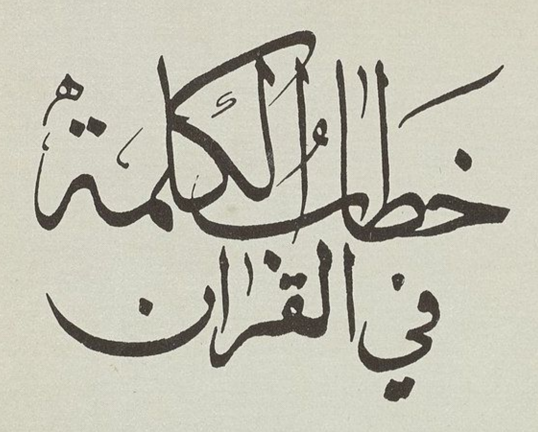


المؤلف : الدكتور سمير سليمان



منظمة الاعلام الاسلامي

معاونية الرئاسة للعلاقات الدولية

بسم الله الرحمن الرحیم



خطاب الكلمة في القرآن

قراءة في نظام دلالاتها العامة ودلالاتها السننية

تأليف

الدكتور سمير سليمان



الكتاب: خطاب الكلمة في القرآن...

المؤلف: الدكتور سمير سليمان.

الناشر: معاونية العلاقات الدولية في منظمة الاعلام الاسلامي

الجمهورية الاسلامية في ايران / طهران/ ص. ب ١٣١٣/١٤١٥٥

المطبعة: طهران / رامين

التاريخ: الطبعة الاول ١٤٠٩ هـ ـــ ١٩٨٩م.

طبع منه: ٣٠٠٠ نسخة.

الفهرست

مقدمة الناشر

ضمن عزمها على تعميم الثقافة القرآنية، وتشجيع كل الدراسات الحديثة والقديمة منها حول النص القرآني أصدرت منظمتنا هذا الكتاب راجية فيه للمؤلف الكريم أن يكون قد وُفِّق في محاولته الجادة هذه لاستقراء دلالات (الكلمة) في القرآن الكريم. وهي بلا ريب لبنة الاعجاز القرآني. والله تعالى نسأل أن يوفقنا جميعا لخدمة قرآننا العظيم والعمل بالتالي على تطبيقه على كل نواحي الحياة الانسانية.

معاونية العلاقات الدولية

في

منظمة الاعلام الاسلامي

تمهيد

بسم الله الرحمٰن الرحيم

لم تَحْظَ (الكلمة) في القرآن الكريم ـــ في حدود مانعلم ـــ بدراسة حقيقية مستقلة حتى الآن. و كل ما كتب حولها، قديماً وحديثاً، لايعدو كونه إشارات من نمط تفسيري أو وظيفي، أو تفسيري عام في نسيج تفسيرات أو دراسات أو أبحاث قرآنية أو معاجم تصنيفية للألفاظ تتنوع وتختلف باختلاف المصنفين واهتماماتهم ومناهجهم، دون أن تتوقف عند أهمية وخصوصية هذه «المفردة» القرآنية البارزة التي هي في الحقيقة ـــ كما نفترض ـــ نظام متكامل من الأبعاد والدلالات التي تضم في ثناياها كثافة من المفاهيم والمبادئ القرآنية التأسيسية التي تلخص مشروع الاسلام للإنسان والعالم، بما الإنسان سيّد فيه ومستخلف.

من هنا نرانا نزعم أن قراءة في خطاب هذه الكلمة هي أكثر من ضرورية إذا كانت قادرة على إثبات هذه الفرضية، وعلى إضاءة حركتها في جوّانيّة الخطاب القرآني برمته.

بيد أن إحساسنا، في مشروع هذه المحاولة، بالمفارقة، قياساً إلى ما سلف من إشارات وتفسيرات ودراسات جانبية، لايصل بنا إلى حد التوهم

بأننا سنكشف مفاهيم قرآنية أو إسلامية جديدة لم يقل بها أحد قبلنا، لكننا نعتقد بأننا سنكون قادرين على استطلاع الخزين الثرّ الذي ترشح به (الكلمة) في القرآن لتتكون هي فيه خطاباً، ونظاماً عقيدياً ومعرفياً، وتاريخاً و سنناً تاريخية إسلامية، بحيث نتعرف من خلال دلالاتها على مدى و مدار احتضانها وارتدائها تلك المفاهيم والأُصول القرآنية المتنوعة والمنتظمة في نسق توحيدي صارم في دقته، تخضع لقوانينه وثوابته حرية الخيارات والمتغيّرات والنواميس الإنسانية كلها، واليه تحتكم، وعلى أساسه تصنف و تحاكم.

أمّا عدتنا المنهجية في هذا السبيل فتتلخص بالتالي:

أ ــ استناد منطلقات تحليلنا كلها إلى معطيات إحصائية دقيقة في احتساب حركة (الكلمة) القرآنية وتردداتها.

ب ــ تشبُّثنا المستمر، إلى الحد الأقصى الممكن، بنص الآيات المعنية في معرض دراستنا العناصر التكوينية والبنائية في خطاب الكلمة.

جـ ــ انضباط قراءتنا في وجهتين رئيستين: قراءة أُفقية شاملة لمكوّنات الخطاب، وقراءة عمودية تفصيلية لمكوّنٍ واحد نبَّهت إليه ودلَّت عليه النتائج الاحصائية.

د ــ مراعاة قراءتنا دائما لتسلسل نزول الوحي، لما في ذلك من إتاحة رصد لتطور دلالات الخطاب المدروس[1]، والاحتمالات الممكنة لهذا

---

١ ــ الصيغة التي اعتمدناها في تسلسل نزول الآيات هي رواية ابن عباس في هذا الشأن وقد اعتمدها صاحب «الميزان» و كتاب «القرآن في الاسلام».

(ــ راجع:

ــ الطباطبائي، السيد محمدحسين ــ «الميزان في تفسير القرآن» ــ المجلد/١٣ ص. ص/٢٣٣ ــ ٢٣٤.

ــ الطباطبائي، السيد محمد حسين ــ «القرآن في الاسلام» ــ الترجمة العربية ــ ص. ص/١٥٩ ــ ١٦٤.

التطور.

بهذا الدليل المنهجي اتجهت قراءتنا، إذن، وجهتين:

اولا: قراءة أُفقية لخطاب الكلمة في نظامين:

أ ــ نظام دلالات الكلمة / المفردات.

ب ــ نظام دلالات الكلمة / المفاهيم وتعلقاتها.

ثانيا: قراءة عمودية في الكلمة / الأقضية والسنن الإلٰهية، وقد ضمت:

١ ــ الكلمات / السنن.

٢ ــ الكلمة / السنة.

٣ ــ الكلمات / الكلمة / السنن والتاريخ.

* * *

قد لايكون خطاب (الكلمة) في القرآن الكريم أول حضور مركب من نوعه في اللغات والتاريخ، فقد عرفت شبيهه أو نظيره اللغات والشعوب والفلسفات السابقة أو المجاورة للعالم الاسلامي قبل ارتسام حدود امتداداته الأُولى داخل شبه الجزيرة العربية وخارجه. إلّا أن ذلك الحضور المركَّب «المشترك» بين ماقد توحي به بعض الدلالات القرآنية (للكلمة) وبين دلالاتها في اللغات الأُخرى، لايعدو كونه ما أوّله بعض الفلاسفة المسلمين في مسألة: العقل الكامن، أو العقل بالقوة، والعقل الظاهر المتجلّي في المخلوقات، أو العقل بالفعل، وفاق ما قالت به نظرية الرواقيّين التي مَيَّزت للمرة الاولى في تاريخ الفلسفة بين العقلين، كما لايعدو كونه تأثر تأويلات بعض الفلاسفة المسلمين بمفهوم (الكلمة) عند «هرقليط» بما هي القوة العاقلة المنبثة في جميع أنحاء العالم فتصبح مبدأ الحياة والإرادة الإلٰهية، وبمعنى (الكلمة) في فلسفة «انكساغوراس» بما هي «العقل الإلٰهي» المدبر للكون أو الواسطة بين الذات الإلٰهية والعالم، بحيث تتشخص (الكلمة) وصيرورتها

في موقع مستقل يقف واسطة بين الله والخلق. ولا نستبعد، في هذا السياق، إمكانية تأثير محدود لأفكار الفيلسوف الفيثاغوري «أبيلنوس الحكيم» حول كلمة «كن» على تحليلات بعض المفسرين والمتكلمين المسلمين للكلمة ذاتها في القرآن الكريم بما تمثله من أهمية تتعلق بتفسير بعض أهم أسرار العلاقة بين الوجود الواجبي والموجودات الممكنة في الكون.

واذ كان خطاب (الكلمة) في القرآن قابلا للالتقاء مع بعض دلالات خطاب (الكلمة) في الفلسفة اليهودية القديمة من حيث كون (الكلمة) مصدراً أوّلياً للوحي والشرائع والنبوّات، ومدبرة للكون وحافظة له، فإنه يختلف عن خطاب (الكلمة) في الفلسفة المسيحية التي تصب في وعاء (الكلمة) معاني: ابن الله، وصورته، والواسطة في خلق العالم مشخصة في صورة المسيح، بالابن وعن الابن وفي الابن ظهر كل شيء[٢]. بينما يقول الاسلام بالتوحيد المطلق بدءاً من الكلمة/الفعل/الخلق وإنتهاءً بأبسط التفاصيل التشريعية والعملية للحياة، أو بدءاً من التوحيد في الذات والصفات والأفعال الإلٰهية وصولاً إلى التوحيد في العبودية والتشريع الذي يسميه بعض الفقهاء بـ«التوحيد في الولاية»[٣]. و بهذا المنهج يُطِلّ القرآن على مسألة (الكلمة) ليكون خطابها الخاص باستقلالٍ ومفارقةٍ تامَّين عن المتداول السائر خارجه من شؤون الفلسفة وشجونها والفكر الديني في الأُمم الأُخرى.

---

٢ ــ حول الأفكار الواردة أعلاه، راجع:

ــ عفيفي، أبوالعلا ــ «مذاهب المسلمين في الكلمة» وتعليقاته على فصوص الحكم لابن عربي» ــ مجلة كلية الآداب، القاهرة، ١٩٣٥ ــ نقلا عن: ــ الحكيم سعاد ــ «المعجم الصوفي» ــ ص. ص/٩٧٩ ــ ٩٨٠.

و ــ جعفر، محمد كمال ابراهيم ــ تحقيقه لكتاب «اصطلاحات الصوفية» لكمال الدين عبدالرزاق القاشاني ــ ص/٦٩.

٣ ــ سبحاني، جعفر ــ «معالم التوحيد في القرآن الكريم» ــ ص. ص/٢٢ ــ ٣٢.

أما ما يتعلق بمسألة مصادر التأثر الإسلامي بما هو غير إسلامي، على صُعُدٍ شتى، فتلك قضية تلحظ بعد قيام الاتجاهات الفكرية والفرق الكلامية الإسلامية وليس قبلها. «فليس لنا أن نلتمس الأسباب التي دعت إلى نشأة هذه الفرقة أو تلك الأُخرى في مذاهب اليونانيين أو المذاهب الأجنبية، وإنَّما الواجب علينا أن نلتمسها، هي وما قالت به من نظريات، في (كلمة) الله نفسها، أي في القرآن»[4] فعنه هو، لا عن المذاهب الفلسفية اليونانية أو غيرها، صدرت الفرق الإسلامية المختلفة والاتجاهات الكلامية المتعددة، وكل تأثر من هذا القبيل أو ذاك مستتبع لنشأة الفرق و المذاهب، و بعيد عن مكونات نشوئها وارتقائها. فالبحث في القرآن هو أساس كل اجتهاد أو تأويل أو استنباط أو قياس لاحق.[5]* وما خطاب (الكلمة) في القرآن إلّا مصداق معبر عن حقيقة هذا المدى المنهجي وتأكيد على فاعليته. وكل التقاء أو تقاطع مع الفكر الأجنبي القديم، وكل افتراق عنه ينبغي له أن يفهم بالقرآن،

---

٤ ـــ بدوي، عبدالرحمٰن ـــ «التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية» ـــ ص. ص/ح ـــ ط.

٥ ـــ (م. ن) ـــ ص/ط.

* في السياق نفسه يقطع عبدالرحمن بدوي بانتفاء العلاقة بين الفلسفة اليونانية، ونشأة الفرق الاسلامية، لأن الفلسفة ـــ في رأيه ـــ «منافية للروح الإسلامية. ولهذا لم يقدر لهذه الروح ان تنتج فلسفة، بل ولم تستطع أن تفهم روح الفلسفة اليونانية» ـــ (م.ن) ـــ ص/ز.

واذا كنا نوافق الكاتب في استنتاجه المتعلّق بنشأة الفرق الاسلامية، فإننا نعتقد بأنه لايخفىٰ على الباحث ما يتضمنه الشق الثاني في رأيه من مغالطات تبدأ بمبدأ تصنيف أرواح الأُمم بين أرواح «تنافي الفلسفة» وأرواح فلسفية، وتنتهي بالظلم الذي يلحقه هذا الحكم بالنتاجات المتأخرة للفلسفة القروسطية ممثلة بالطوسي وصدرالدين الشيرازي ـــ مثلاً لاحصراً ـــ هذا، إذا سلّمنا جدلاً بأن النتاجات الفلسفية للمسلمين المشرقيين والأندلسيين تفتقر إلى الفلسفة الحقيقية والإبداع الفكري، على مافي هذا الرأي من تعسُّف وجور، ناهيك بالخطورة المترتبة على تصنيف الأمم الى «أرواح» و «أمزجة» مبدعة أو غير مبدعة، إذ ينبعث من هذا الصنف من المعايير «الانطروبولوجية» عبق شوفيني يزكم الأُنوف.

وانطلاقاً منه، لا بتأويلات واستنباطات بعض أعلام المتكلمين والفلاسفة المسلمين مهما تراوحت مواقع هؤلاء وأُولئك بين التقدم والتأخر، أو بين التقليد والإبداع.

في هذا المسار المنهجي، وانطلاقا من المقارنات الآنفة مع الفلسفات اليونانية واليهودية والمسيحية، يمكن للباحث أن يحدس بكيفية تجاوز القرآن الكريم لكل مألوف ومزعوم في مفاهيم (الكلمة) لدى تلك الفلسفات، إذ يقدِّم نظاماً دلالياً كاملا لخطاب (الكلمة) متضمنا من الدلالات والأبعاد الأصيلة مالم نلحظ له مثيلا في أي فكر آخر، عدا كونها حالة اغناء وتضعيف لهذا «المصطلح» في اللغة العربية. ويكفي الباحث المتتبع ان يراجع المعاني التي اختارها وتناقلها المعجميون العرب والمسلمون المتقدمون في مادة (ك .ل.م) ليلحظ مدى تعويلهم على الإسهامات القرآنية التي جعلت مادة الكلمة مترعة بالمفاهيم والمبادئ والتجلِّيات ذات المرجعية الإسلامية، بعد أن كانت دلالاتها العربية التقليدية، قبل الاسلام، محدودة في نطاق الدقة التقنية أو المادية أو الوظيفية للاستعمالات المباشرة أو العملية في المصطلح الجاهلي.

ومع انشعاب الفرق الكلامية وقيام الفلسفة الإسلامية وانتشار المذاهب، إرتقت دلالات الكلمة أيّما ارتقاء، وانفتحت لها عند بعض الفلاسفة والمتصوفة وأهل العرفان آفاق جديدة ناجزات انبثاقاً من النص القرآني وبناءً عليه. وبذلك تراوحت دلالات الكلمة/الكلام/الكلمات[٦]

---

٦ ـــ يشكل فعل (ك . ل. م) واحداً من ألف ومئة وخمسة وثمانين فعلاً ثلاثياً وردت في القرآن الكريم.

ـــ راجع

CHOUÉMI, MOUSTAPHA- "LE VERBE DANS LE CORAN"- P.P. 4 ET 8.

بين (الكَلْم/الجرح) و (الكَلِمْ/اسم الجنس الجمعي)[7]، و (الكلام/أقسام العالم)[8] و (الكلمات/الممكنات)[9] و (الكلمة/المتعيِّن)[10]، والكلمات الإلٰهية التامّات التي لا تنتهي إلى أمر ولا تحصر بعدٍّ[11].

اولاً ــ خطاب الكلمة/ قراءة أُفقية:

أ ــ في نظام دلالات الكلمة/المفردات:

توزعت مادة (ك . ل. م) واشتقاقاتها في القرآن الكريم على سبع صيغ لفظية تضم خمساً وسبعين مفردة[12] وردت في إحدى وسبعين آية (أُنظر

---

٧ ــ راجع على سبيل المثال لا الحصر:

ــ الفيروز آبادي، مجدالدين ــ «القاموس المحيط» ــ جـ/٠٤ (فصل الكاف ــ باب الميم).

ــ الزبيدي، محيي الدين ــ «تاج العروس من جواهر القاموس» ــ جـ/٤، ص/٤٩.

ــ ابن منظور ــ «لسان العرب» ــ مجلد/٣ ــ مادة (ك .ل.م).

ــ ابن هشام ــ «أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك» ــ الجزء الاول ــ ص. ص/١١ــ ١٢.

٨ ــ الشيرازي، صدرالدين ــ «الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة» ــ الجزء الثاني من المجلد الثالث ــ ص/٥.

٩ ــ ابن عربي، محيي الدين ــ في: «المعجم الصوفي» ــ (م.س) ــ ص ٩٧٦.

١٠ ــ القاشاني، كمال الدين عبدالرزاق ــ «إصطلاحات الصوفية» ــ (م. س) ــ ص/٦٨.

١١ ــ البيهقي، أبوبكر أحمدبن الحسين بن علي ــ «كتاب الأسماء والصفات» ص. ص/١٨٣ ــ ١٨٤.

١٢ ــ آيات أربع فقط في القرآن تضمنت كلٌّ منها لفظين من (ك .ل.م) وهي بحسب تسلسل نزولها:

أ ــ الآية / ١١٥ من سورة الأنعام: (كلمة ــ كلماته).

ب ــ الآية / ١٠٩ من سورة الكهف: (لكلمات ــ كلمات). ←

الجدول رقم ١):

١ ــ ثمان و عشرين مفردة، بلفظ (كلمة)، أي مانسبته (٣٣/٣٧٪).

٢ ــ أربع عشرة مفردة بلفظ (كَلِمات)، أي مانسبته (٦٦/١٨٪).

٣ ــ أربع مفردات بلفظ (الكَلِم)، أي مانسبته (٣٣/٥٪).

٤ ــ أربع مفردات بلفظ (كَلاَم)، أي مانسبته (٣٣/٥٪).

٥ ــ مفردة واحدة بلفظ (تكلِيم)، أي مانسبته (٣٣/١٪).

٦ ــ ثمانية عشر فعلاً مضارعاً بصيغ مختلفة، أي مانسبته (٢٤٪).

٧ ــ ستة أفعال ماضية بصيغ مختلفة، أي مانسبته (٨٪).

(الجدول رقم ــ ١ ــ)

الصيغة	عدد الألفاظ	النسبة المئوية
كَلِمَة	٢٨	٣٣/٣٧٪
كَلِمَات	١٤	٦٦/١٨٪
الكَلِم	٤	٣٣/٥٪
كَلاَم	٤	٣٣/٥٪
تكْلِيم	١	٣٣/١٪
فعل مضارع	١٨	٢٤٪
فعل ماضٍ	٦	٨٪

ج ــ الآية / ١٦٤ من سورة النساء (كَلَّمَ ــ تكليماً).

د ــ الآية / ٤٠ من سورة التوبة (كلمة ــ كلمة).

بينما انفردت بقية الآيات السبع والستين بمفردة واحدة لكلٍّ منها.

ومن الواضح أن النص القرآني في تحركيه لاشتقاقات (الكلمة) يتكثف استكنانه صيغ الإسم (٥١ إسما= ٦٨٪) قياساً الى استكنانه صيغ الافعال (٢٤ فعلا = ٣٢٪)، بحيث جاءت النسبة العظمى من الكلمات/الأسماء منسوبة إلى الرحمٰن نفسه بمجموع قدره (٤٠) لفظة، أي مايعادل نسبة (٧٨/٤٣٪) من مجموع صيغ الاسم المعتمدة، بينما لم يزد عدد الكلمات/الفعل المنسوبة إليه سبحانه عن ثمانية أفعال أو ما نسبته (٣٣/٣٣٪) من مجموع عدد الكلمات/الفعل وهي (٢٤) فعلاً ــ (انظر الجدول رقم ــ ٢ ــ).

(الجدول رقم ــ ٢ ــ)

	العدد	النسبة المئوية
إجمالي الكلمة/الاسم	٥١	٦٨٪
اجمالي الكلمة/الاسم المنسوبة إلى الله من إجمالي الكلمة/الاسم	٤٠	٧٨/٤٣٪
إجمالي الكلمة/الفعل	٢٤	٣٢٪
إجمالي الكلمة/الفعل المنسوب الى الله/من إجمالي الكلمة/الفعل	٨	٣٣/٣٣٪
إجمالي الكلمة/الاسم والفعل	٧٥	١٠٠٪

إجمالي الكلمة/الفعل والاسم المنسوبة الى الله من إجمالي الكلمة/الاسم والفعل	٤٨	٦٤٪

مما يعني أن إجمالي الكلمة/الإسم والفعل المنسوبة إلى الله هو(٤٨) إسماً وفعلاً، أي ما نسبته (٦٤٪) من إجمالي الكلمة/الاسم والفعل الواردة في القرآن كله، وهي النسبة الغالبة على إجمالي لفظ الكلام غير المنسوب إلى الرحمٰن.

إن هاتين الظاهرتين، ظاهرة طغيان صيغ الكلمة/الاسم وظاهرة تقدم نسبة الكلمة/الإسم والفعل المنسوبة إلى الله، ليستا خارج القصد الإلٰهي بلا ريب، بل هما ــ في رأينا ــ معنيّتان بذاتيهما في مدار التفسيرين التاليين:

أما الظاهرة الأولى: فتحمل دلالات خاصة تتعلّق بنمط الكلام الإلٰهي وطبيعته وخصوصيته في استخدام اشتقاقات (الكلمة)، وذلك بما هو اختصار وصورة للإرادة والأمر والأقضية الإلٰهية. وبهذه الدلالات يشكل الاسم تعييناً دقيقاً وقاطعاً لثبوتية الفعل الإلٰهي وديمومته المطلقة بما هو قرار شامل لايتغير ولا يتبدل، سواءٌ ما تعلق منه بالمجردات المفارقات أو بالموجودات والممكنات كافة، وبذلك تصبح الكلمة الإلٰهية منعتقة من كل زمان ومشرعة على كل زمان، كما سنرى.

هكذا تسطع حركة الكلمة/الاسم وتتحدد من خلال احتضانها للمطلقات بحيث يرتفع التعيين إلى مستوى التحرير، وتمسك التسمية

بالمطلقية لتزيدها إطلاقاً[13].

إزاء هذا الطغيان الأسمائي للكلمة تتسلسل الكلمة/الفعل بصيغتي المضارع والماضي وعلى مساحة الآيات الإحدى والسبعين المنوه بها، فإذا هي تشير إلى الحدث الجزئي المتعلق بالمشيئة الإلٰهية في الجوانب التفصيلية لتجلّياتها. فهي تارة تتعلق بتنظيم مستويات الكلام وشروطه بين الخالق والمخلوق في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وتارة تتعلق بطبيعة التكليم الإلٰهي للأنبياء والصديقين وأنماط المهمات الموكلة إليهم، والدرجات والتصنيفات التي تختص بهم. وبهذه المعاني ترتبط الكلمة/الفعل بمناسبة خاصة تُكَوِّن بحدّ ذاتها تاريخاً وزماناً موصوفين داخل الزمان البشري المتراوح بين المبدأ والمعاد، وخارج هذا الزمان، لأنها داخل زمان مطلق، أو هو اللاّزمان[14]. فالكلمة/الفعل حركة في الزمان، أمّا الكلمة/الإسم فهي ثبوتية تحتضن زمانية الفعل ومداه، والكلمة/الفعل عهد إلٰهي في الزمان، بينما

---

١٣ ــ أُنظر على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى، وفاق تسلسل النزول:

ــ «كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون» ــ يونس/٣٣.

ــ «وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً، لا مبدّل لكلماته، وهو السميع العليم» ــ الانعام/١١٥.

ــ «ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلامٌ والبحر يمدُّه من بعده سبعة أبحُرٍ ما نَفِدَتْ كلماتُ اللّهِ، إن الله عزيز حكيم» ــ لقمان/٢٧.

ــ «ويمح الله الباطل ويحقُّ الحق بكلماته، إنه عليم بذات الصدور» ــ الشورى/٢٤.

١٤ ــ أنظر، على سبيل المثال لا الحصر، وبحسب تسلسل النزول، قوله تعالى:

* «.. أولئك ما يأكلون في بطونهم إلاّ النار، ولا يكلمهم اللّهُ يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم» ــ البقرة/١٧٤.

* «.. أولئك لاخلاق لهم في الآخرة، ولا يكلمهم الله، ولا يَنْظُرُ إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم» ــ آل عمران/٧٧.

* «وكلّم اللّهُ موسى تكليماً» ــ النساء/١٦٤.

الكلمة/الاسم عهد ربّاني يكسر الزمان.

وأمّا الظاهرة الثانية، ظاهرة طغيان نسبة الكلمة/الإسم والفعل المنسوبة إلى الله، فهي تمثل مسار عقيدة التوحيد ومؤدّاها، لأنها تُوَثِّقُ علاقة المفيض بالمفاض، والفصل الممكن بالأصل الواجبي، فالعالم على كثرته ووحدته وترابط أجزائه في عين تشتُّتها ينتهي في الخطاب الإلٰهي إلى «سبب واحد فوق الأسباب، هو الحق»[15]، ويمسك بالمتعيِّنات والحقائق والموجودات، ويُخْضِعُ دورة الحياة والزمان والكون لتدبيره وسننه بغائيَّة، متحققة حتماً، تحدد للوجود مساراً بين البدايات والنهايات، بدءاً من دورة الحركة الأرضية الأولية ممثلة بالاستخلاف الإلٰهي للإنسان، وكَدْحاً في العبور إلى المرحلة السماوية الأخروية[16]. وهذا يعني «أن العالم ذو قطب واحد، ومحور واحد، وأن مبدأه ومرجعه واحد»[17]. فمن الضروري أن تُنْسَبَ اليه، أو أن يَنْسِبَ إلى نفسه جلّ وعلا، كل قوة وكل فعل وكل مفارق وكل مجرد وكل وجود وكل لغة وكل صاحب لغة في السماوات والأرض. وإذا كان اللفظ وجوداً اعتبارياً لمعناه في اللغة الإنسانية، وأن التكلم إيجاد اعتباري للمعنى الذي في ضمير المتكلم ليستدل به السامع على المعنى المقصود، فإن اعتبارية اللفظ منبثقة من اعتباريته، أي من اعتبارية اللفظ على المعنى، والغاية منه هي الإبلاغ والتفهيم. وعلى هذا الأساس يكون الكلام صفة فعلية متأخرة عن الذات الانسانية المتكلمة[18].

---

١٥ ـــ الطباطبائي، السيد محمدحسين ـــ «الميزان..» ـــ (م.س) ـــ الجلد/٦ ـــ ص ١٧٠.

١٦ ـــ سليمان، سمير ـــ «خطاب العلم والتوحيد ـــ قراءة في خطاب العلم الإلٰهي من خلال «نهج البلاغة»» ـــ «مجلة المنطلق»، بيروت، العدد/٣٥، أيلول ١٩٨٧، ص/٤٣.

١٧ ـــ المطهري، مرتضى ـــ «المفهوم التوحيدي للعالم» ـــ الترجمة العربية ص/١٤.

١٨ ـــ الطباطبائي، السيد محمدحسين ـــ في: شرح «الحكمة المتعالية ـــ» (م.س) ـــ ص.ص/٢ ـــ ٣.

لكنَّ الملاحظ أن الكلام البشري يتخذ في حركته بعداً واحداً مباشراً بين الباث والمتلقي بدءاً من إنشاء الأصوات والحروف والكلمات وإيجادها من الضمير في الخارج بهدف الإعلام والإبلاغ، وحتى تحقق الهدف من الكلام بالإفهام والتوصيل، بينما ينفتح الخطاب القرآني الإلٰهي على ثلاثة أبعاد مركزية تصدر عن لَدُن واحدي آحادي، ويقسمها صدرالدين الشيرازي إلى: أعلى وأوسط وأدنى. فالبعد الأول الأعلى هو الكلام الأمري المتعلق بالخلق والإبداع الإلٰهيين المتجلّيين في عالم القضاء الحتمي، مثل إبداعه تعالى عالَمَ أمره بكلمة «كن»[19] بكون هذا الإبداع صورة لما يسميه القاشاني بـ «الإرادة الكلية»[20]. والبعد الأوسط هو الأمر التقديري والتكويني الذي لا إمكان لمخالفته، كأمره تعالى الملائكة بما أوجب عليهم فعله. امّا البعد الأدنى فتعلق بالأمر التشريعي والتدويني كأوامر الله وخطاباته للمكلفين بواسطة

---

١٩ ــ في هذا البعد الإبداعي تسقط الوسائط بين الكلام الإلٰهي والذات الإلٰهية المتكلمة. وتغدو المتكلمية، بهذا المعنى، صفة إلٰهية ذاتية، لأنها متعلقة بإرجاع معنى الكلام الى الصفة الذاتية المتعلِّقة بالقدرة الإلٰهية بماهي عين الذات، وذلك خلافاً لظاهر المفيد بكَوْن الكلام صفة فعلية متأخرة عن الذات، وبذلك لا تعود دلالة الكلام هنا دلالة اعتبارية، بل هي دلالة حقيقية.

(انظر:

• الطباطبائي، السيدمحمد حسين ــ في: شرح «الحكمة المتعالية» ــ(م.س) ص. ص/٢ ــ ٤.

• الطباطبائي، السيد محمدحسين ــ «بداية الحكمة» ــص. ص/١٨٣ ــ ١٨٤).

والجدير بالتنويه أن صيغة الأمر/الفعل التكويني الإلٰهي قد وردت في القرآن الكريم ثماني مرات في الآيات التالية:

• البقرة/١١٧. • آل عمران/٤٧ و ٥٩. • الأنعام/٧٣. • النحل/ ٤٠. •مريم/ ٣٥. •يس/٨٢. • غافر/ ٦٨.

٢٠ ــ القاشاني، كمال الدين ــ (م. س)ــ ص/٦٨.

الملائكة والرسل وتراجمة الوحي[21]، ويحتمل هذا الأمر طاعة المكلفين وعصيانهم، بعكس الأمرين/البعدين الأوّلين.

في مدى هذه الأبعاد التوحيدية كلِّها، وقد تَنَزَّلت من موقع المُوجِد إلى موقع الموجود، انبثقت الأسماء والأفعال باشتقاقات لفظ الكلام، دون انتماء دقيق وخاص إلى أيّ منها. فقد جاءت دلالات تلك الأسماء والأفعال خارج التصنيفات المنوَّه بها وداخلها في آن معاً، بل هي، بالأحرى، أوسع منها أُفقاً وأرحب، إلى درجة تستوعبها جميعاً، بحيث تسبح تلك الأبعاد في مياه مطلقية الكلمة/ الاسم/الفعل المنسوبة إلى الله سبحانه في فضاء الخطاب القرآني الشامل[22]، ومن خلال بنى التوحيد المختلفة في الذات والصفات والعبادة/ الأفعال[23]، وبما يعنيه انتساب الكلام إلى الله تعالى من ربطٍ بمعاني الألوهية والربوبية والقداسة[24] إضافة الى الدلالات المتكثرة والمتنوعة للقدرة المطلقة والقضاء المحكم والسنن والأوامر الرحمانية التي كَوَّنَت الوجود ونظَّمته فَتَمَّ بها، بما هي كلمات الله الثوابت وقوانينه المطلقات.

وإذا كان الكلام البشري يشكل نمطاً واحداً على قاعدة التعدد والتنوع بفعل تكثُّر البشر وتعددهم، فإن الكلام الإلٰهي أنماط دينامية متعددة

---

٢١ ــ الشيرازي، صدرالدين ــ (م. س) ــ ص. ص/٦ ــ ٨.

* أنظر أيضا للمؤلف نفسه «مفاتيح الغيب» ــ ص . ص/١٨ ــ ٢٠.

٢٢ ــ ليس على المدقق في هذا المجال سوى مراجعة الآيات القرآنية المتضمنة اشتقاقات لفظ (الكلمة) ليلاحظ بوضوح سطوع هذه الحقيقة في ألفاظ الكلام المنسوب إليه تعالى.

(أو أنظر مثلا:

ــ عبدالباقي، محمد فؤاد ــ «المعجم المفهرس للألفاظ القرآنية» ــ مادة: (ك .ل.م).

٢٣ ــ المطهري، مرتضى ــ «الهدف السامي للحياة الانسانية» ــ الترجمة العربية ص. ص/٤٢ ــ ٤٣.

٢٤ ــ المطهري، مرتضى ــ «معرفة القرآن» ــ الترجمة العربية ــ ص/١٢٢.

دالة عليه تعالى، وآيات لا تنفد ولا تتغيّر. وبهذا المعنى نفهم كلام الشيخ محيي الدين بن عربي: «الوجود كله حروف وكلمات وسور وآيات، فهو القرآن الكبير»[25]، وقول صدر المتألّهين: «العالم كلُّه أقسام الكلام»[26]، وقول الإمام عليٍّ بن أبي طالب (ع): «متكلّمٌ لا برويّة»[27] و «إنّما كلامه سبحانه فعل منه أنشأه وَمثّلَهُ، ولم يكن قبل ذلك كائناً، ولو كان قديماً لكان إلٰهاً ثانيا»[28]. وما كلامه تعالى في هذا السياق إلّا حقيقة الكلام التي يتولد منها كل كلام وكل لغة، وهي حقيقة لا يستهلكها كلام ولا تستنفدها لغات، «ولو أن ما في الأرض من شجرةٍ أقلامٌ والبحرُ يَمُدُّهُ من بعدهِ سبعةُ أبحرٍ، مانفدت كلمات الله، إن الله عزيز حكيم»[29].

ب ــ في نظام دلالات الكلمة/المفاهيم وتعلقاتها:

عندما افترضنا في بدايات هذه القراءة أنّ القرآن الكريم قد تجاوز، أو نسخ مفاهيم و دلالات (الكلمة) الإلٰهية كما عرفتها الأديان والفلسفات والأفكار التي سبقته زمانياً، وذلك من خلال النظام الدلالي المكثف الذي يرسيه خطاب الكلمة في الوحي، فإنّنا كنا نستند إلى عملية إحصاء واستقصاء تفصيلية لأنماط الدلالات/المفاهيم الواردة في الآيات الإحدى والسبعين التي احتضنت البُنى التكوينية لذاك الخطاب الإلٰهي بالكلمة وفاقاً لتسلسل نزول خاتم كتب السماء.

---

٢٥ ــ ابن عربي، محيي الدين ــ (م. س) ــ ص/٩٧٦.

٢٦ ــ الشيرازي، صدرالدين ــ (م.س) ــ ص/٥.

٢٧ ــ ابن ابي طالب، الإمام علي ــ في:

ــ أنصاريان، علي ــ «الدليل على موضوعات نهج البلاغة» ــ ص. ص/١٢٨ ــ ١٢٩.

٢٨ ــ ابن أبي طالب، الامام علي ــ «نهج البلاغة» ــ الخطبة/١٨٦ ــ ص/٢٧٤.

٢٩ ــ لقمان/٢٧.

وفي ضوء هذا الاحتساب يتبين لنا أن خطاب الكلمة في القرآن مُكَوَّنٌ من اثنتين وعشرين «كلمة» محورية تشكِّل كلٌّ منها مفهوماً قائماً بذاته، أو هي بمثابة المفهوم القائم بذاته. ولا نعرف، بالمقابل، نصاً دينياً أو فلسفياً قبل القرآن قد احتوى هذه النسبة المرتفعة من الكلمات/المفاهيم، ناهيك بالخصوصية الأصيلة التي تفردت بها في نسيج الخطاب الإلٰهي للبشر، إذْ أنشأت في جَوَّانيته نظاماً متكاملاً لخطاب الكلمة تَوَزَّعَ بالتدرُّج الإحصائي على الشكل التالي:

١ ــ الكلمة / الأقضية والسنن: تسع عشرة آية (٢٦/٧٦٪).

٢ ــ الكلمة / التخاطب بين البشر: ثماني آيات (١١/٢٦٪).

٣ ــ الكلمة / الخطاب الإلٰهي للظالمين يوم القيامة: ست آيات (٨/٤٥٪).

٤ ــ الكلمة / الإعتقاد بالحق والتوحيد: خمس آيات (٧/٠٤٪).

٥ ــ التكليم الإلٰهي للأنبياء والرسل: خمس آيات (٧/٠٤٪).

٦ ــ الكلمة / المسؤولية في تحريف الكلام الإلٰهي: أربع آيات (٥/٦٣٪).

٧ ــ الكلمة / الشهادة والبرهان: أربع آيات: (٥/٦٣٪).

٨ ــ الكلمة / النبي: ثلاث آيات (٤/٢٢٪).

٩ ــ الكلمة / العذاب: ثلاث آيات (٤/٢٢٪).

١٠ ــ الكلمة/ القدرة الإلٰهية: آيتان (٢/٨١٪).

١١ ــ الكلمة / القرآن: آية واحدة (١/٤٠٪).

١٢ ــ الكلمة / الوحي: آية واحدة (١/٤٠٪).

١٣ ــ الكلمة / الصيغة الإلٰهية للتفاهم مع البشر: آية واحدة (١/٤٠٪).

١٤ ــ الكلمة / البعث: آية واحدة (١/٤٠٪).

١٥ ــ كلام الملائكة: آية واحدة (٠‎١/٤٠٪).
١٦ ــ الكلمة / القبول الإلٰهي بتوبة آدم: آية واحدة (٠‎١/٤٠٪).
١٧ ــ الكلمة / التقوى: آية واحدة (٠‎١/٤٠٪).
١٨ ــ الكلمة / النصر للأنبياء: آية واحدة (٠‎١/٤٠٪).
١٩ ــ الكلمة / الثواب: آية واحدة (٠‎١/٤٠٪).
٢٠ ــ الكلمة / الاختبار: آية واحدة (٠‎١/٤٠٪).
٢١ ــ الكلمة / الكذب: آية واحدة (٠‎١/٤٠٪).
٢٢ ــ الكلمة / الكفر: آية واحدة (٠‎١/٤٠٪) ــ انظر دائما الجدول رقم ٣ــ.

من خلال التدرج الوارد أعلاه في استخدامات القرآن للفظ (الكلمة) وتنوعات اشتقاقات هذاالمصدر، يتبين لنا إلى أي مدى استجمع كتاب الله حول (الكلمة) شتى البنى الموضوعية التي يقوم عليها المشروع الإسلامي للعالم[٣٠] فبقضاء الله وسننه تم رسم مسار الوجود البشري تكوينياً واجتماعياً وتاريخياً، ذاتاً وموضوعاً وتطوراً ديناميّاً. وعبر صيغ الكلام المنسوب الى البشر التي نص عليها القرآن جرى تقديم صورة مبدئية عن النموذج

---

٣٠ ــ في ضوء مدلولات البنى المشار إليها في مسألة (الكلمة القرآنية) يتضح هنا مدى تجاوزها للإشارات «المعجمية» الأولية التي التفت إليها بعض الفقهاء والمفسرين المسلمين القدماء، ومنهم الحسين بن محمد الدامغاني (القرن السابع الهجري) الذي اكتفى بذكر معانٍ «مدرسية» لمادة (ك . ل. م) في القرآن عندما حدد لها تسعة عناوين عامة هي: «الكلام الذي أسمع الله تعالى عبده من غير واسطة»، و «كلام الله القرآن» و «كلمات الله عجائبه تعالى» و «الكلمات المناسك»، و «الكلمات التي تلقّاها آدم» و «الكلمة لا إلٰه إلّا الله»، و «كلمات الله عجائب صنعه تعالى»، و «كلمة الله عيسى بن مريم»، و «كلمات الله دينه».
ــ (راجع:
ــ الدامغاني، الحسين بن محمد ــ «قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم» ــ ص. ص/٤٠٧ ــ ظ ٤٠٩).

الاسلامي الموجب والنموذج الاسلامي السالب أو «اللاّإسلامي» وذلك من خلال صيغ التخاطب الملحوظة بين الأنبياء أو الصديقين ممّن مثلوا حالة «الثورة» في أنماط المعجزة الإلٰهية من خلال منهج الاختيار والاصطفاء والتكليف كعيسى بن مريم وزكريا عليهما السلام[٣١]. ومن خلال إنباء الكلمة بعقيدة الحق والتوحيد تَمَّ ضبط حركة الفرد والجماعة في منهج علاقة محكم بين الممكن البشري و «أشياء» الكون على أساس مبدأ الاستخلاف الإلٰهي للإنسان في الارض وبمعايير التقوى ولمصلحة الموازاة والتوازن بين أصالة المجتمع وأصالة الفرد. ومن خلال تنظيم العلاقة بين المعبود والعبد في الدنيا نظمت السنة الإلٰهية نمط التعامل «الكلامي الإلٰهي / الفعلي» بينهما يوم تقوم الساعة، وخصوصاً في مستوى محاسبة الكفرة والظالمين بمنع نموذج من نماذج الرحمة الدَّيَّانية عنهم ساعة ينفخ في الصُّور وعندما لايكلمهم الله فيهملهم لمصيرهم الذي طالما أوعدهم به بعد أن اشتروا الضلالة بالهدى.

اما التكليم الإلٰهي للأنبياء والرسل فهو إرساء إلٰهي لنمط خاص من العلاقة «التكليمية» بين السماء والأرض، حجة بالأنبياء على الناس، ومعجزة في أنفس الأنبياء وتثبيتاً ليقينهم، وإعادة تدريبهم وتأهيلهم لرفع كفاءة أدائهم لأنواع خاصة من المهمات الرسالية والرسولية. وعندما تتحدد الحقوق والواجبات في المستويين الفردي والجماعي تكون مسؤولية الإخلال كبيرة إلى درجة أن الأُمة كلها تتلبس مسؤولية جناية من صنف المروق على الله، وتحريف كلماته، ونقض ميثاقه ممّا يرتكبه الفرد أو بعض الأفراد[٣٢]. وأنَّى للعصاة والمرتابين والمشركين أن يفرُّوا من ربقة ما قادتهم إليه

---

٣١ ــ نشير هنا تحديداً إلى دلالات الآيات التالية، مراعين تسلسل نزولها:

* مريم/ ٢٦ و ٢٩. * يوسف/ ٥٤. * الانعام/ ١١١. * آل عمران/ ٤٦.
* المائدة/ ١١٠.

٣٢ ــ المطهري، مرتضى ــ «المجتمع والتاريخ» ــ الترجمة العربية ــ ص. ص/ ٢٤ ــ ٢٥.

قلوبهم المستكبرة عندما تنطق أعضاؤهم وجوارحهم فتشهد عليهم بما كانوا فيه ظالمي أنفسهم، فإذا الكلمة شاهد وشهادة وبرهان؟...

ـ الجدول رقم ٣ ـ

مفاهيم الكلمة في القرآن	الآيات وفاق تسلسل النزول	اجمالي آيات الكلمة	النسبة المئوية
الكلمة/القضاء والسنن الإلٰهية	الأعراف/١٥٨، طه/١٢٩، يونس/١٩و٣٣و٦٤و٨٢و٩٦، هود/١١٠و١١٩، الانعام/٣٤و١١٥، الشورى/١٤و٢١و٢٤، الكهف/٢٧، فصلت/٤٥، الانفال/٧، الفتح/١٥، لتوبة/٤٠	١٩	٪٢٦/٧٦
الكلمة/التخاطب بين البشر	مريم/١٠و٢٦و٢٩، يوسف/٥٤، الانعام/١١١، آل عمران/٤١و٤٦، المائدة/١١٠.	٨	٪١١/٢٦
الكلمة/الخطاب الإلٰهي للظالمين يوم القيامة	هود/١٠٥، المؤمنون/١٠٠و١٠٨، البقرة/١٧٤ آل عمران/٧٧، النور/١٦.	٦	٪٨/٤٥
الكلمة/الاعتقاد بالحق والتوحيد	فاطر/١٠، الزخرف/٢٨، إبراهيم/٢٤و٢٦، آل عمران/٦٤	٥	٪٧/٠٤
الكلمة/التكليم الإلٰهي للأنبياء والرسل	الأعراف/١٤٣و١٤٤، الشورى/٥١، البقرة/٢٥٣، النساء/١٦٤	٥	٪٧/٠٤
الكلمة/المسؤولية في تحريف الكلام الإلٰهي	البقرة/٧٥، النساء/٤٦، المائدة/١٣و٤١	٤	٪٥/٦٣
الكلمة/الشهادة والبرهان	يس/٦٥، النمل/٨٢، الروم/٣٥، البقرة/١١٨	٤	٪٥/٦٣
الكلمة/النبي	آل عمران/٣٩و٤٥، النساء/١٧١	٣	٪٤/٢٢
الكلمة/العذاب	الزمر/١٩ و ٧١، غافر/٦	٣	٪٤/٢٢
الكلمة/القدرة الإلٰهية	لقمان/٢٧، الكهف/١٠٩	٢	٪٢/٨١
الكلمة/القرآن	التوبة/٦	١	٪١/٤٠
الكلمة/الوحي	التحريم/١٢	١	٪١/٤٠
الكلمة/الصيغة الإلٰهية للتفاهم مع البشر	الأعراف/١٤٨	١	٪١/٤٠

الكلمة/البعث	الرعد/٣١	١	٪١/٤٠
الكلمة/الكلام الملائكي	النبأ/٣٨	١	٪١/٤٠
الكلمة/التوبة	البقرة/٣٧	١	٪١/٤٠
الكلمة/التقوى	الفتح/٢٦	١	٪١/٤٠
الكلمة/النصر للأنبياء	الصافات/١٧١	١	٪١/٤٠
الكلمة/الثواب	الأعراف/١٣٧	١	٪١/٤٠
الكلمة/الاختيار للبشر	البقرة/١٢٤	١	٪١/٤٠

على هذا النحو تدور دلالات (الكلمة) المنطوقة أو الموحىٰ بها على مفاصل ومفاهيم النبوّة والعذاب والقدرة الإلهية، والقرآن والوحي، والبعث والتوبة والثواب والكفر ـ (راجع دائما الجدول رقم ٣) ـ لتلخص، مع الدلالات «الكلامية» السابقات، مشروع الرسالة السماوية المتشكل في نظام متماسك من الدلالات داخل حركة خطاب الكلمة في القرآن الكريم، والمتحول ـ من جهة أُخرى ـ إلى بنيان متماسك من المفاهيم المكثفة والمتنوعة في وحدة منهجية منسوجة بعرى عقيدة التوحيد الوثقى.

وإذا كنا قد لاحظنا ثمة تفاوتاً في تركيز ذلك الخطاب على مسألة محددة بذاتها من المسائل المبيَّنة كالكلمة/القضاء والسنن الإلهية، أو كالكلمة/الاعتقاد بالحق والتوحيد ـ مثلا ـ، فلا يعني ذلك ـ في رأينا ـ تدرُّجاً للخطاب الإلهي من مرتبة المهم بذاته إلى مرتبة الأهم بذاته، أو العكس، فلسنا نعتقد ـ مثلاً ـ أن مفهوم (الكلمة) بما يعنيه في القرآن أحياناً من شؤون التخاطب العادي بين البشر، هو أكثر أهمية من مفهوم (الكلمة) المتعلقة بالقدرة الإلهية المطلقة وفاق أبعادها القرآنية، إلّا أن التفاوت المنوّه به يعني عندنا أن الدلالات المرتبطة بخطاب (الكلمة) تكتسب أهميتها وتتصدرغيرها بما هي منتسبة إلى الكلمة المقصودة بعينها. فالأهمية التي يوحي بها معنًى مّا من معاني الكلمة في القرآن ليست مطلقة أو بمثابة المطلق، ولكنها أهمية نسبية تتحدَّد بدلالة مفهوم الكلمة من خلال

علاقتها بمفهوم ما يرتبط بها باعتباره غير منفصل عنها. فما يريد القرآن أن يركز عليه ـ مثلا ـ، في العلاقة المفهومية/ الدلالية (الكلمة/الأقضية والسنن الإلٰهية)، ليس دلالة الكلمة بذاتها ولا دلالة القضاء والسنن الإلٰهية بعينها، وإنما يريد أن يركز على العلاقة الناظمة لطرفي الدلالة، قياساً إلى بقية العلاقات الدلالية بين (الكلمة) والدلالات الأُخرى التي تعلَّقت بها بموجب ماسبق وبَيَّنَّاهُ في الصفحات السابقة ـ (أُنظر أيضا الجدول رقم ٣).

من نظام هذه المدلولات ننظر الى تركيز خطاب (الكلمة) في القرآن على مفاهيم وموضوعات مخصوصة دون غيرها، أو إلى كثافة الآيات التي تتوجه إلى مفهوم/قضية بذاتها وتدنِّي عدد الآيات التي تهتم بالخوض في قضايا/مفاهيم أُخرى، لا لأن المفهوم القضية الأُولى أكثر أوأقل أهمية من المفهوم/القضية الثانية مطلقاً، بل لأن المشيئة الإلٰهية، ارتأت، في سياق محدد، إبراز قضية معينة أكثر من غيرها قياساً إلى طبيعة الموضوع المعالج الذي تهتم بتبيينه وإظهاره، وإلى الأسباب والأهداف والنتائج المتعلقة به.

وقد تتحول هذه القضية/المفهوم ذاتها، في مناسبة أُخرى أو مجال آخر إلى شأن «ثانوي». فليس مجرد ترداد ذكر مسألة من المسائل كافياً وحده في القرآن لتصنيفها مهمة أو غير مهمة، أو أنها أكثر أو أقل أهمية من غيرها. كما أنه من غير الجائز اعتبار الرقم الأعلى دائماً في جدول إحصائي مُعَيَّن، بالضرورة وبشكل ميكانيكي، وكأنه وحده معيار أهمية موضوعه، مقارنة مع موضوعات الأرقام الأُخرى الأدنى. فالقضية نسبية في الأحوال كافة. وربما استطعنا في الصفحات المقبلة، وفي حدود هذه النسبية، أن نستقرئ الدلالات الممكنة لتركيز خطاب (الكلمة) في القرآن الكريم تركيزاً خاصاً على إبراز مسألة الأقضية والسنن الإلٰهية باعتبارها واحدة من أهم مقومات التكوين العقيدي والأيديولوجي في الإسلام.

إن الدلالة «الرقمية»، بلاريب، مؤشر أساسي، وهو بمثابة الضروري

حيث يتوفّر وجوده، شرط عدم الغاء أو تغييب الشروط الأُخرى الآيلة إلى إبرازه ومن بينها حقيقته بأسبابها وأهدافها وتأثيراتها، ناهيك بالموقف الأيديولوجي الذي يحركه ويفسره ليصل به الى النتائج المتوخاة. فلا ينبغي، في هذا المجال، إخضاع المؤشر الإحصائي لمفهوم نظري مجرد آتٍ من الخارج، أي من منطلق مبدأ ذهني مقرر سلفاً.

إن «الرقم القرآني» في قراءتنا إذن متعلق بحركة التوجه الداخلي الخاص بالنص القرآني. وهذا النص وحده هو الذي يفرز الأرقام الكمية ويحركها ويشير إلى ماتتضمنه جَوَّانيته على المستوى النوعي من داخل ثنايا الشروط التي أشرنا إلى ضرورة حضورها في مجرى كل تحليل وتأويل مستضيئين بالدليل الإحصائي، وفي إطار تلك الشروط.

ضمن هذا الإطار الشامل يستقيم نظام الدلالات التي تحتضنها مفاهيم خطاب (الكلمة) في النص الإلٰهي، وعلى هذه العوالم المركبة يُطِلُّ، وبين تلك البُنى الشاملة يؤالف، وبمعاييرها ينبض ويقيس ويحاكم.

ثانيا ـــ خطاب الكلمة/ قراءة عمودية في الأقضية والسنن الإلٰهية:

في «البانوراما»/الرؤية الأُفقية التي سبق وعرضناها لحركة مفاهيم خطاب (الكلمة) في القرآن، حاولنا أن نرسم مدار النظام العام لتلك الحركة ودلالاته. إلّا أن الإكتفاء بهذه الزاوية من الرؤية يبقي الباحث في موقع الإطلالة الأولية الخاطفة والشاملة. وبالتالي، فإنه ـــ في رأينا ـــ لن يكون قادراً على رصد أنماط وطبيعة الكوامن والأسرار الداخلية المشكّلة لديناميّة الخطاب وأبعاده، وبالتالي فسيكون من المتعذر عليه ـــ على الأرجح ـــ أن يحيط بمضارب الآفاق الداخلية لكل مفهوم، وأن يفهم دورة تفاصيله وحركة إبلاغيته بماهو حضور خاص، داخل الخطاب الشامل، يتمتع بحركة ذاتية، ولكن في مساق الكيان العام للخطاب القرآني، وبما هو تَجَلٍّ أساسي من تجليات فاعليته.

ومن البديهي الحدس بأن رصد هذه التفاصيل كافة أمر متعذر في قراءة محدودة كالتي نتابعها في هذه المحاولة التأسيسية. وهو ـــ تالياً ـــ طموح أكبر من تواضع هذا البحث لأنه يتطلب جهوداً أكبر، ومدى زمنياً أطول، واستفاضة نراها تستتبع وتستردف مجموعة أُخرى من الأبحاث وأنساقاً أخرى من القراءات، علماً بأن خطاب (الكلمة) القرآنية قد استقطبت خامته اثنين وعشرين مفهوماً إسلامياً تأسيسياً.

لذلك فإننا سنكتفي، على مدى الصفحات التالية، بقراءة نسق مفهوم واحد من مفاهيم خطاب (الكلمة) في القرآن قراءة جَوَّانية مستفيضة، بما هو خاص وعام في آن معاً، و بما هو منهج من المناهج الإلٰهية الآيلة إلى إتاحة قراءة ممكنة لعلاقة الخالق بالمخلوق وعلاقة الانسان بكتاب الوجود باعتباره مجمع التجلّيات الإلٰهية الواحدية في العالم المتكثر، وللإحاقة بعلاقة التاريخ والتطور التاريخي بصانعهما بما هو فرد وجماعة.

* * *

سبق وأشرنا فيما تقدم إلى أن الكلمة الإلٰهية بما هي متضمنة مفهوم القضاء والسنن الربانية قد شكلت النسبة الكبرى من نسب توزع أنماط خطاب (الكلمة) في الكتاب الحكيم. إذْ وردت في تسع عشرة آية، بدأت، وفاق تسلسل نزول الآيات، بسورة الأعراف ـــ الآية /١٥٨، وانتهت بسورة التوبة ـــ الآية/ ٤٠[٣٣] اي ما نسبته (٢٦/٧٦٪) من إجمالي استعمالات

٣٣ ـــ لتسهيل المراجعة نشير الى أن الآيات هي التالية وفاق تسلسل نزولها:

١ ـــ «فآمنوا باللّهِ ورسولِهِ النبيِّ الأُميِّ الذي يؤمن بالله وكلماته، واتبعوه لعلكم تهتدون» ـــ الاعراف/١٥٨.

٢ ـــ «ولولا كلمة سبقت من رَّبِّك لكان لزاماً وأجلٌ مسمّى» ـــ طه/١٢٩.

٣ ـــ «ولولا كلمةٌ سبقت من رَّبِك لَقُضِيَ بينهم فيما فيه يختلفون» ـــ يونس/١٩.

٤ ـــ «كذلك حقَّت كلمة ربِّك على الذين فسقوا أنهم لايؤمنون» ـــ يونس/٣٣.

مفاهيم الكلمة في الخطاب الإلٰهي. وهذه النسبة المرتفعة مؤشر إلى أن هذا الخطاب، فيما يتعلق بالكلمة واشتقاقاتها كان يرمي إلى إبراز مفهوم القضاء

---

٥ ــ «لَهُم البُشرَى في الحياةِ الدُّنيا وفي الآخرةِ، لا تبديل لكلماتِ اللّهِ» ــ يونس/٦٤.

٦ ــ «ويُحِقُّ اللّهُ الحقَّ بكلماتِهِ ولو كَرِهَ المجرمون» ــ يونس/٨٢.

٧ ــ «إنَّ الذين حقَّت عليهم كلمةُ رَبّكَ لا يؤمنون» ــ يونس/٩٦.

٨ ــ «ولقد آتينا موسى الكتابَ فاختُلِفَ فيه، ولولا كلمةٌ سبقت من ربّك لقُضِيَ بينهم» ــ هود/١١٠.

٩ ــ «وتَمَّتْ كلمةُ رَبِّكَ لأملأن جهنَّمَ من الجِنَّةِ والناس أجمعين» ــ هود/١١٩.

١٠ ــ «ولا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِ اللّهِ، ولقد جاءك من نبإِ المرسلين» ــ الانعام/٣٤.

١١ ــ «وتَمَّتْ كلمةُ رَبِّكَ صدقاً وعدلاً، لامبدِّل لكلماته، وهو السميع العليم» ــ الأنعام/١١٥.

١٢ ــ «ولولا كلمةٌ سَبَقَتْ من رَّبِكَ إلىٰ أجلٍ مسمّى لَقُضِيَ بينهم» ــ الشورى/١٤.

١٣ ــ «ولولا كلمةُ الفصلِ لَقُضِيَ بينهم، وإنَّ الظالمين لهم عذابٌ اليمٌ» ــ الشورى/٢١.

١٤ ــ «ويمحُ اللّهُ الباطلَ، ويُحِقُّ الحقَّ بكلماتِهِ، إنَّه عليمٌ بذات الصدور» ــ الشورى/٢٤.

١٥ ــ «واْتلُ ما أُوحيَ اليكَ من كتابِ رَبّكَ، لامُبَدِّلَ لكلماتِهِ ولن تَجِدَ من دُونِهِ مُلتحداً» الكهف/٢٧.

١٦ ــ «ولولا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَبِّكَ لقُضِيَ بينهم، وإنَّهم لفي شكٍّ منه مريبٍ» فصلت/٤٥.

١٧ ــ «ويريدُ اللّهُ أن يُحِقَّ الحقَّ بكلماتِهِ ويَقْطَعَ دابِرَ الكافرين» ــ الأنفال/٧.

١٨ ــ «يريدون أن يُبَدِّلوا كلام اللّهِ، قل: لَنْ تتَّبعونا، كذلكم قال اللّهُ من قبلُ..» الفتح/١٥.

١٩ ــ «وجَعَلَ كَلِمَةَ الذين كفروا السفلى، وكَلِمَةُ اللّهِ هي العليا، والله عزيز حكيم» ــ التوبة/٤٠.

والسنن الإلٰهية باعتبارها مسألة مركزية من مسائل عقيدة التوحيد، ومصداقا لثبوتية الأوامر/القرارات الإلٰهية بما هي ركن مكين من أركان المفهوم الإسلامي للزمان والتاريخ. فكيف أدت صيغ (الكلمة) مفهوم السنن؟

ترددت ألفاظ (الكلمة) في الآيات التسع عشرة المنوَّه بها إحدى وعشرين مرة في صيغة الإسم. وقد توزعت هذه الصيغة على اثنتي عشرة مرة بلفظ المفرد (كلمة) وثماني مرات بلفظ الاسم الجمع (كلمات)، ومرة واحدة بلفظ المفرد (كلام) في سياق الاسم الجمع (كلمات) وفي معناه أيضاً. وأكثر ورود هذه الألفاظ، وفاق تسلسل نزول الآيات، جاء في سورة يونس (٥ ألفاظ)، ثم في سورة هود (لفظتان)، ثم في سورة الأنعام (لفظتان)، ثم في سورة الشورى (٣ ألفاظ)، وتوزعت بقية الألفاظ جزئياً سور: الأعراف/١٥٨ (لفظة واحدة)، وطه/١٢٩ (لفظة واحدة)، والكهف/٢٧ (لفظة واحدة)، وفصلت/٤٥ (لفظة واحدة)، والأنفال/٧ (لفظة واحدة)، والفتح/١٥ (لفظة واحدة)، والتوبة/٤٠ (لفظتان).

إن هذا التوزيع لصيغ (الكلمة)، بماهي أقضية ربانية وسنن[٣٤]، على

٣٤ ــ قد يكون من نافل القول التذكير بأننا نعني بالأقضية والسنن الإلٰهية، وفاق ماتضمنه خطاب (الكلمة) في القرآن، المنهج/النظام الإلٰهي العام الذي يخضع له الخلق أفراداً وجماعات. وبذلك يكون فعل الله صادراً عن منهج خاص وطريقة ثابتة لا تقبل التغيير والتحويل. وقد أكَّد سبحانه وتعالى هذه المنهاجية في آيات مختلفة كقوله:

(ــ «ولا تجد لسنتنا تحويلاً ــ الإسراء/٧٧، ولن تجد لسنة الله تبديلاً» ــ الأحزاب/٦٢، وفاطر/٤٣، والفتح/٢٣»، «ولن تجد لسنة الله تحويلاً ــ فاطر/٤٣»). إذ لايمكن لسنن الله، بما هي أوامر وقرارات أزليَّة، أن تُنسخ أو تُعَدَّل كما تُنسخ الأنظمة والقوانين الإعتبارية القابلة دائماً للإلغاء والحذف والتطوير والتحوير دون إلغاء أصل القانون.

(راجع:

ــ المطهري، مرتضى «العدل الإلٰهي» ــ الترجمة العربية ــ ص١٤٠.

ــ الطباطبائي، السيد محمدحسين ــ «الميزان» ــ (م.س) ←

سور القرآن وآياته يؤكد وجود حالة «عدم توازن» فيما بينهما على هذا الصعيد. فثمة سور يتكشف فيها بثيث آيات (الكلمة) قياساً إلى إقلال منه في سور أُخرى، بينما يغيب غياباً كاملاً في سور أُخرى، مما يجعل العدد الإجمالي للسور المتضمنة صيغ الكلمة/السنن لايتجاوز الإحدى عشرة سورة، أي مانسبته (٩/٦٤٪) من سور القرآن الكريم البالغة مئة وأربع عشرة سورة. ولا ندري بالضبط سبب التفاوت المنوَّه به، إلّا أن يكون مرتبطاً ببعض المناسبات أو الظروف الخاصة التي مرت بها الرسالة الإسلامية على مدى تنزل الوحي، ممّا قد لايعنينا مباشرة في معرض هذه القراءة[٣٥].

أمّا الحركة الداخلية للكلمة/السنن فقد تراوحت، بما هي منتظمة في منهج ثبوتي، بين خطي: العام والخاص. فكلما كانت الصيغة المعتمدة هي (كلمات) فذلك يعني أن القضاء والسنن الإلٰهية ـــ عامة ـــ هي المقصودة، دون أن تتضمن الآية التي تحتويها ما يشير الى الاقتصار على سنة خاصة بعينها.[٣٦] وكلما جاءت لفظة (كلمة) صيغة لاحتمال خطاب الكلام، فذلك يعني أنها تتوجه إلى سُنَّة مخصوصة دون غيرها من السنن باعتبارها مرتبطة بحدث خاص محدد، وبالتالي فهي لا تغطي أي حدث، أو كل حدث، وإنما تنضبط في إطار التعبير عن حدث بعينه.

---

* المجلد/١٥ ـــ ص/٣٤. * المجلد/١٩ ـــ ص/٣٩٥. * المجلد/١٠ ـــ ص. ص/١٨٩ ـــ ١٩٠. * المجلد/٥ ـــ ص/٣٥١.

٣٥ ـــ في هذا السياق نشير إلى أن هذه الآيات (الكلمات/ السنن) ليست وحدها التي تتعلّق بمفهوم السنن في القرآن. فثمة آيات كثيرة أخرى تقول بهذا المفهوم المنهجي التأسيسي في الاسلام، لكنها تندرج خارج ما يهجس به بحثُنا من دلالات بصيغ (الكلمة) الإلٰهية.

٣٦ ـــ أنظر، على سبيل المثال، إلى قوله تعالى: «الذي يؤمن بالله وكلماته» ـــ الأعراف/١٥٨، «ويحقُّ اللّهُ الحق بكلماته» ـــ يونس/٨٢، «يريدون أن يبدّلوا كلام الله» ـــ الفتح/١٥، «لا تبديل لكلمات الله» ـــ يونس/٦٤... الخ).

في حركة الاصطفاف بين العام والخاص إذن تَنَقَّلَ خطاب السنن الإلٰهية مفصلاً على الشكل التالي، استناداً إلى تدرج نزول الوحي:

١ ـ الكلمات / السنن:

دشنت الآية / ١٥٨ من سورة الأعراف[٣٧] خطاب السنن الإلٰهية الكلامي في القرآن الكريم بصيغة الاسم الجمع (كلمات) عندما نسبت إلى النبيِّ الأُميِّ (ص) الايمان بالله و (كلماته) آمرة الناس، بالإيمان بالله وبه، واتباعه لعلهم يهتدون. فإذاً إيمان النبي مُنْشَدٌّ إلى الله سبحانه وإلى الأحكام التي نصَّ عليها وحيه وكتبه وقضاؤه وسننه كافةً. فهو قدوة المؤمنين المأمورين ومثالهم الذي يجب ان يتقلدوا نهجه ويتمسكوا بتعاليمه وسنته. فليست الكلمات في هذا السياق إلّا جنس ماكلَّم الله به أنبياءه ورسله وما تنزل عليهم من كتب ورسالات قبل خاتمهم ومن خلاله[٣٨].

بتعميم أحكام السنن والنواميس الإلٰهية عبر صيغة (كلماته) المتضمنة جميع قوانين و شرائع نظام الله في الكون والخليقة، خاطب الكلام الإلٰهي الناس إذن، متجاوزاً كل مايمكن أن يربطها من تعيين حدثاني او انضواء ظرفي او استمساك بمناسبة مخصوصة، فجاءت (الكلمات) تعبيراً كلياً لا يفرق بين سنة وسنة من السنن الربانية، ولا يميز، لانها أقضية مطلقات في شؤون الكون وآياته الجارية على الحق بما هي آلاء تكوينية وتنظيمية دالة على عظمة وسعة تدبير المبدع الواجبي ولانهائية أوامره الوجودية في الخلق والتدبير والرعاية. فكلمات الله/السنن المنزلة وحياً، بأنماط الوحي والتنزيل المتنوعة، هي بمثابة الفعل والفاعلية الدائمين المطلقين والمفاضين من عالم الأمر

٣٧ ـ أُنظر ثبت الآيات المعنيَّة بمسألة الكلمات/السنن في هامش الصفحة ماقبل الأخيرة ممّا سبق وأوردناه.

٣٨ ـ الخوارزمي، ابوالقاسم الزمخشري ـ «الكشاف عن حقائق التنزيل في وجوه التأويل» ـ ج ٢ ـ ص ١٢٣.

الى عالم الشهادة. وهي حالة انتقال من المكان المطلق الى المكان النسبي الممكن، بقدر ماهي إفاضة الزمان النسبي من لدن الزمان المطلق، بل هي إفاضة الذات والمكان والزمان الواجبية على الذات والمكان والزمان الممكنة، بحيث تستوعب الكلمات/السنن، في الآية المشار إليها، حشداً من المبادئ والقوانين المطلقة التي تؤلف مايسميه «فريد هوف شوان»[٣٩] بـ «المخطط الإلهي» الشامل المحتمل للممكنات بتفاصيلها كافة، فتخضع لسلطانه تعالى، وتمتثل لأمره، وتستكين مستسلمة لمشيئته خارج نطاق مألوفات العبور الظرفي، وفوق محدودية الحدث الخاص وقصوره، وبعيداً عن الاقتصار على القصد الفرداني والسقوط في مغامرات الصدف.

ولم يُكْتَفْ خطاب الكلمات / السنن بتكريس هذه الدلالات كلها في نص الآية/١٥٨ من سورة الأعراف، بل راح يؤكدها ويزكيها في آيات أُخرى وفاق ماسبقت إشارتنا إليه. منها هي الآية/٦٤ من سورة يونس[٤٠] قد جاءت لتقرر حتمية سريان تلك الدلالات وثبوتيتها ونفاذها نفاذ الوعد والعهد الإلٰهيين اللّذين لا إمكان للنكوث أو النكول بهما، باعتبارهما فائضين عن الذات الإلٰهية المقدسة عن كل أنكفاء أو تغير أو تبديل، وبما هي الذات الربّانيّة الحقيقة المطلقة والمبدأ والمنبثق للحقائق جميعاً. فأولياء الله المؤمنون المتقون، هؤلاء لاخوف عليهم ولا هم يحزنون، ولهم البشرىٰ في الحياة الدنيا وفي الآخرة، سنداً إلى كلمات الله/العهود/السنن المطلقة التي قررت أحكام الفوز العظيم لأمثال أولئك الأولياء والصّدّيقين ونظائرهم. إذ لاخُلْفَ بمواعيد الله ولا إخلاف، ولا تغيير في أقواله وكلماته.[٤١] وكذلك هي الحال في

---

٣٩ ـــ شووان، فريد هوف ـــ «حتى نفهم الإسلام» ـــ الترجمة العربية ـــ ص/٦٠.

٤٠ ـــ راجع الآية في الثبت المنوّه به آنفاً.

٤١ ـــ القرطبي، أبوعبدالله محمد بن أحمد الأنصاري ـــ «الجامع لأحكام القرآن» ـــ ص. ص/٣١٩٧ ـــ ٣١٩٨.

دلالات الكلمات/السنن الإلٰهية التي تحق الحق في كل الظروف ولو كره المعاندون «المجرمون» في حلبة الصراع السنني المحتدم بين الحق والباطل، وفاق دلالة الآية/ ٨٢ من سورة يونس نفسها[٤٢] فبكلمات الله يتم انتصار الحق وإثباته بأوامره وأقضيته وحججه ومشيئته سبحانه[٤٣].

بهذا المعنى تتخذ كلمات الله بُعداً جديداً عندما تتحول إلىٰ وسيلة لدرء الباطل ودحره، لأنها الحق الصادر عن الحق، ولأنها بالحق وله، وهي الصدق والعدل المطلقان الصادران عن الأصدق والأعدل والأعلم. فأنّىٰ لها النقص والإنقطاع والوهن والتبدل؟ فما كانت إلّا نافذة في الأولين وستستمر في الآخرين إخباراً وأمراً ونهياً ووعداً ووعيداً[٤٤]. كذلك كانت في دعوات المرسلين وكذلك تدوم بعدهم فلا دافع لأمر الله ولا ناقض لحكمه ولا زمان حائلاً دون مفعولية تقديره ووعده[٤٥]، وفاق نص الآيتين/ ٣٤ و ١١٥ من سورة الانعام[٤٦]. *

---

٤٢ ــ راجع الآية في الثبت المنوّه به آنفاً.

٤٣ ــ الخوارزمي، أبوالقاسم الزمخشري ــ (م. س) ــ جـ/ ٢ ــ ص /٢٤٨.

٤٤ ــ الخوارزمي، أبوالقاسم الزمخشري ــ (م.س) ــ جـ/٢ ــ ص/٤٦.

٤٥ ــ القرطبي ــ (م. س) ــ ص. ص / ٢٤١٤ و ٢٥٠٧.

٤٦ ــ راجع ثبت الآيات المنوّه به آنفاً.

* ــ قد يبدو الوهلة الأُولى أن لفظة (كلمات) الواردة في الآية / ٣٤ من سورة الأنعام تفيد الخاص لا العام، كما ورد تفسيرها عند بعض المفسرين كالسيد محمد حسين الطباطبائي في «الميزان» استناداً إلى سياق الآية بكاملها: «ولقد كُذِّبَتْ رُسُلٌ من قبلك فصبروا على ما كُذِّبوا، وأوذوا حتى أتاهم نصرنا، ولا مبدّل لكلمات الله، ولقد جاءك من نبأ المرسلين»، وباعتبار (كلمات الله) متعلّقةً بسنة الرحمٰن القاضية بانتصار الرسل على مُكَذِّبيهم. وبموجب التفسير المشار إليه؛ تكون (الكلمات) دالة على هذه السنّة الخاصة. إلّا أننا نعتقد بأن المقصود بقوله تعالى «ولا مبدّل لكلمات الله» هو شمولية الثبات والاضطراد في الأقضية والسنن الإلٰهية كلها. وما نَصْرُ المرسلين إلّا مصداق من مصاديق تلك السنن المتحققة حكماً، وجزء

في هذا المدار العام للكلمات / السنن تتكرر وتتأكد دلالات مفاهيمها فيما تلا من آيات سننية بلفظ (الكلمات)، وهي: الشورى/٢٤، والكهف/٢٧، والأنفال/٧، والفتح/١٥ [٤٧]. *

يبقى أن نشير إلىٰ أن خطاب الكلمات / السنن في الآيات المنوّه بها كافة قد جاء مسبوقاً دائماً بحدث خاص يمهد لإطلاق المبدأ العام للسنن وتأكيده عن طريق جعله فوق الخاص، بحيث يصبح كل خاص حدثي موصلاً ومؤدياً إليه ومرتفعاً إلىٰ مقامه ونتيجة متمخضة عنه، ويغدو العام فضاءً للخاص يحكمه ويضبط حركة مساره ودلالاته. فالخاص المتمثل بالدعوة إلىٰ الإيمان بالله ورسوله في الآية/١٥٨ من سورة الأعراف، السابق ذكرها،

من حقيقتها اللاّمتناهية. فنفاذ كلمات الله حتمي وناجز في كل شيء، بما في ذلك استحقاق وحق انتصار الرسل في النهاية مهما أوذوا وطال زمان عذاباتهم. وعلى هذا الأساس يظل تصنيفنا (لكلمات الله) في الآية الكريمة تحت دلالة العام قائماً وصحيحاً. علماً بأن الآية قد بدأت بالخاص وأردفت بالعام، ممّا يعني بأن العام، بما هو محيط بالخاص وممسك به، هو المعوَّل عليه إنطلاقاً من الخاص المتجلّي في سنة انتصار الرسل.

(راجع: الطباطبائي، السيد محمدحسين «الميزان» ــ (م.س) ــ المجلد/٧ــ ص/٦٣).

٤٧ ــ راجع ثبت الآيات المنوّه به سابقاً.

* ــ سبق وأشرنا إلى أن الآية / ١٥ من سورة الفتح قد تضمنت عبارة (كلام الله) بمعنى (كلمات الله)، وفاق الدلالات التي بيّنّاها في الكلمات/السنن. فالكلام اسم جنس يقع على القليل والكثير، ولا يغيّر هذا في شيء من إمكانية إشارة الآية إلىٰ مسعى بعض الأعراب في أن يغيّروا موعدالله لأهل الحديبية وذلك أنه وعدهم أن يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر. أما نص الآية فهو: «يريدون أن يبدّلوا كلام الله، قل: لن تتّبعونا، كذلكم قال الله من قبل».

(راجع:

ــ الخوارزمي، أبوالقاسم الزمخشري ــ (م. س) ــ جـ/٣، ص/٥٤٣.

ــ القرطبي ــ (م. س) ــ ص/٦٠٩١).

موصول بكلمات الله السنن، والخاص المتجلّي في هزيمة السحرة وبطلان ما ألقوه أمام موسى؛ منوطٌ بإحقاق كلمات الله في الآية/ ٨٢ من سورة يونس، وانتصار المرسلين رغم معاناتهم التاريخية من ظلم الكفرة والمستكبرين، نتيجة حتمية لثبوتية السنن الإلٰهية/الكلمات التي لا يداخلها تبدُّل، ولا يعتريها تعثّر أو إضطراب وفاق نص الآية/ ٣٤ من سورة الأنعام، والحدث الخاص المتمثل بتدليس أعداء الأنبياء وبزخارف أقوالهم وتخرصاتهم هو نسيج مصداقية السنن/ الكلمات الثوابت في الآية/ ١١٥ من السورة نفسها.. وهكذا دواليك إلىٰ آخر آيات خطاب السنن الرحمانية بصيغ الإسم الجمع (كلمات)[٤٨].

٢ ـ الكلمة / السنة:

ربما من المفيد التذكير، في هذا المجال، بأن صيغة الكلمة/السنة في كلام الرحمٰن قد جاءت تحمل صفة الخاص بمعنى تعلّقها بسنة خاصة وفردية من السنن الإلٰهية ذات النمط الشمولي المتعدد. ولا نعني بالخصوصية هنا دلالة المحدودية الظرفية أو التاريخية المحكومة بحدث ما، أو بشأنٍ ما من الشؤون والأحداث التي عرض لها النص القرآني، أو المحدودية المكتفية بذاتها بحيث يتقوقع مصداقها داخل الخصوصية المشار إليها وينتهي بها، وبالتالي فهو يفقد دلالة الإستمرارية والثبات والمصداقية الدائمة التي تصح في كل زمان ومكان. لكننا نعني بالخصوصية كون الكلمة/السنة ذات مصدر خاص ومعنى مقصود بالذات، وكونها تستجيب لفعل خاص، إنّما في مسار حركة الجزء الثابت في جوّانيّةِ الكُلّيِّ الشامل. حتى إذا تجمعت (الكلمات) ـ جمع كلمة ـ/ السنن، شكلت الحقيقة الكلية للسنن الإلٰهية قاطبة.

إن الكلمة / السنّة المفردة إذن، تحتضن حقيقة السنن في الفاعلية والدائمية، حتى ولو انبثقت من ظرف مفرد أو متفرِّد واحد تقول به الآيُ

---

٤٨ ـ أُنظر الآيات في الثبت السابق.

القرآنية. وبهذا المعنى لا تكتسب صفةَ الحدث ولا معناه، لكنها تقوده إلىٰ مستقر السنن ومنتهاها، فهي سبيل من سبل شتَّى، ومفهوم من ثُلَّةٍ مفاهيم تؤلف ثوابت النظام الإلٰهي في الكون التي تحكم متحولاته ومتغيراته، وبالتالي فهي بُنيةٌ من بُنى عمران الوجود، وقانون من قوانينه، ولازمة من لازمات حركته.

وأول سنة/ كلمة من هذا النمط نزلت على صدر الرسول الأُمي كانت في الآية/ ١٢٩ من سورة طه بقوله تعالى: «ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاماً، وأجل مسمى،» وفيها يشير العزيز الحكيم إلىٰ السنَّة/ الكلمة/ العهد الذي قطعه على نفسه بتخلية الناس آمنين من العقوبة والهلاك في الدار الدنيا مهما تجبَّروا وعتوا. فهو مؤجلهم إلىٰ أجل مسمّىً لزاميٍّ، وفاق مضمون الآية التي نزلت لاحقاً: «ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلىٰ حين»[49]*، بعد هبوط أبي البشر آدم (ع) إلى الأرض. فـ (الكلمة) تبعاً لذلك، هي احتواءٌ لدلالة الخاص في السنَّة الواحدة المفردة، الناظمة لحدث متفرِّد وامتداداته في التاريخ، ألا وهو استخلاف الإنسان في الأرض، وخضوعه لمبدأ الثواب والعقاب بما هما نتيجتان لفعل مسؤوليَّة التكليف الإلٰهي للإنسان، وبما هما محدِّدان لنمط الحرية البشرية في نظام إدارة العالم باعتبارها حرية مسؤولة ومحسوبة بدقة. وما (الكلمة) في هذا المنهج الربّاني إلّا العُدَّةُ بتأخير الجزاء من المكلَّفين إلى الآخرة[50]. مع علمه بصنيعهم، فلولا هذه الكلمة/ العهد الإلٰهي لكان العذاب لازماً لهم[51].

إنها الكلمة/ الرحمة التي لا تبادر العباد بالمعاقبة الفورية المستحقة، إذ

---

٤٩ ـ البقرة / ٣٦.

* راجع: الطباطبائي، السيد محمدحسين ـ «الميزان» ـ (م.س) المجلد/ ١٤ ـ ص/ ٢٣٣.

٥٠ ـ الخوارزمي، أبوالقاسم الزمخشري ـ (م.س) ـ جـ/ ٢، ص/ ٥٥٨.

٥١ ـ القرطبي ـ (م.س) ـ ص/ ٤٣٠٠.

منها يبدأ فعل الحرية لبني الإنسان، وفيها تتحدد صيرورة وجودهم، وتنعقد عُرى مسؤوليتهم.

ذلك هو الوعد الإلٰهي / السنة الذي لا إخلال فيه ولا إهمال، والذي يعود الوحي للتأكيد عليه في الآية/ ١٩ من سورة يونس[٥٢] في قول الله: «وما كان الناس إلّا أمّة واحدةً فاختلفوا، ولولا كلمة سبقت من ربك لَقُضِيَ بينهم فيما فيه يختلفون». فقد كان البشر في البداية فطريين توحيديين فاختلفوا على الدنيا والأهواء، وتفرقوا فريقين: موحد و مشرك . ولو شاء الله لحسم في الخلاف المستجد بإظهار الحق على الباطل، لكن الكلمة الإلٰهية/العهد بعدم القضاء بين المختلفين وعدم معاقبة المبطلين في العالم الأرضي، هي التي تؤخر إنفاذ الحكم بالعقوبة أو المثوبة على المستحقين إلى يوم القيامة[٥٣]. وسبق كلمته بالتأخير هو لحكمة أوجبت أن تكون هذه الدار دار تكليف، وتلك دار ثواب وعقاب[٥٤].

في ضوء هذه الدلالات نلاحظ أن صفة الخاص المتجلية في قضية الخلاف بين الناس في العالم مستتبعة للسنة/الكلمة الخاصة بامتناع المبادرة الإلٰهية عن التدخل في رفع الاختلافات وإنزال العقوبات في عالم الشهادة. فتلك سنة كونية أزلية وتعهد ربوبي لانكوص فيه، قائمان إلى يوم الدين.

وإذا كانت مسألة الاختلاف العامودي الأول في تاريخ البشر بين الحق والباطل هي محور الكلمة/السنة الإلٰهية التي ردّت القرار الربّاني بمقاضاة المبطلين إلى الآخرة زمانياً ومكانياً في الآيتين السابقتين، فإن المسألة

---

٥٢ ــ هي الآية السننية الثالثة التي نزلت في القرآن الكريم بلفظ (الكلمة) بعد الآية /١٥٨ من سورة الأعراف والآية السابقة.

٥٣ ــ الطباطبائي، السيد محمدحسين ــ «الميزان» ــ (م.س) المجلد/١٠ ــ ص. ص/٣٠ ــ ٣٣.

٥٤ ــ الخوارزمي ــ (م.س) ــ جـ/٢، ص/٢٣٠.

ذاتها هي محور الآية/٣٣ من سورة يونس أيضاً. لكنَّ الكلمة/السنة فيها تتخذ بعداً آخر أُفُقُهُ ومكانه وزمانه هذه المرّة هي الحياة الدنيا: «وكذلك حَقَّتْ كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لايؤمنون».

لقد قضى الله في الفاسقين قضاءً حتمياً أنهم لايؤمنون. أمّا مصداقُهُ الخارجي فَمُنْبَثَقُهُ كونهم تمرّدوا على الحق وأسقطوا أنفسهم في الضلال، وأمعنوا في الأذيَّة، رغم تحذيرهم ووقوع الحجة عليهم وتذكيرهم بموجب الآيتين/ ٣١ و٣٢ من السورة نفسها[٥٥]: فكيف لهم بعدما اقترفوه أن يهتدوا ويؤمنوا؟. وما كان الله ليظلمهم، لكنهم كانوا أنفسهم يظلمون، فحقَّت كلمة الرحمٰن عليهم أنهم لايؤمنون.

لم يكتف الخطاب القرآني بالآية المنوه بها تأكيداً على سنة الله الخاصة بعدم هداية الفسقة إلى نعيم الإيمان، بل عادت الآية/٩٦ من سورة يونس نفسها لتزيد في تأكيد تكريس ثبوتية هذه السنة واحتوائها حالة الخاسرين عندما أفادت بـ «إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لايؤمنون». فحكم الله وقانونه قاطعان في المكذبين في مدى الزمانين/المكانين: الدنيا والآخرة، ان يُحرموا من سعادة الحياة بالإيمان وأن تحل فيهم كلمة العذاب الخالد يوم حشرهم[٥٦]، «ولو جاءتهم كل آية»[٥٧] فإنهم لن يؤمنوا «حتى يروا العذاب الأليم»[٥٨].

ومع الآية / ١١٠ من سورة هود يعود مفهوم الكلمة السنة الذي سبق

---

٥٥ ــ «قُلْ: مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ والأرضِ، أمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ والأبصارَ، وَمَنْ يُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحيِّ، وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ؟ فَسَيَقُولُونَ: الله، فَقُلْ: أفلا تتقون؟»/٣١.

ــ «فذلكم ربُّكم الحقُّ، فماذا بعد الحقِّ إلّا الضلال؟ فأنّى تُصرفون؟»/٣٢.

٥٦ ــ الطباطبائي، محمدحسين ــ «الميزان» ــ المجلد/١٠ ــ ص. ص/١٢٤ ــ ١٢٥.

٥٧ ــ يونس/٩٧.

٥٨ ــ الآية نفسها.

ونوّهنا به في الآية/ ١٢٩ من سورة طه وفي الآية/ ١٩ من سورة يونس ليستأنف مسار خصوصيته إذ قال سبحانه «ولقد آتينا موسى الكتاب فاختُلِف فيه، ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم».

ليست مسألة الخلاف في الكتاب الإلٰهي /الحق قضية جديدة، وفاق ماتقرأه الآية الكريمة، فهي حاضرة حضور الانسان في العالم الأرضي، ومتجددة باستمرارية عبوره فيه إلى العالم الأبدي. كانت قبل موسى، وستستمر قائمة بعده. فتلك سنة الله. لكن سنة الله الأُخرى/الكلمة هي التي تنظم الخلاف و «تقوده» تأخيراً وتأجيلاً بحيث لا تنهيه لمصلحة الحق مباشرة وعلى أرض الاختلاف والمفارقة بل تؤخّره، بمقتضى التعهُّد الربّاني، إلى يوم يبعثون.

من هنا، كان اختلاف الناس في الكتاب/الدين «ملتقى قضاءين صادرين عن الله، يقتضي أحدهما الحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ــ (كل مااختلفوا فيه) ــ ويقتضي الآخر أن يمتعهم الله إلى يوم القيامة فلا يجازيهم بأعمالهم[59]. ومقتضى ذلك كله أن يتأخر عذابهم إلى أجل مسمى.

إن قضية أن يكون الناس أُمة واحدة في الحق وأن يستمروا على هذه الوحدة ليست شأناً واقعاً خارج القدرة الإلٰهية المطلقة، إنّما هي منضبطة في فعل المشيئة الإلٰهية: «ولو شاء ربك لجعل الناس أُمة واحدة، ولايزالون مختلفين»[60]. لكنَّ المشيئة الإلٰهية لم ترفع الإختلاف وتحل محله الإتفاق بل أبقت على أسباب التفرق والتنازع مشرعة لغاية موصوفة. ومن هنا قيُّوميَّة كلمة الله على تعذيب الناكلين بالحق، سواء أكانوا من الجن أو من الانس: «إلّا من رحم رَبُّكَ، ولذلك خلقهم، وتمت كلمة ربك لأملأنّ جهنم من

٥٩ ــ الطباطبائي، محمد حسين ــ «الميزان» ــ المجلد/١١ ــ ص/٤٥.

٦٠ ــ هود/١١٨.

الجنّة والناس أجمعين»[٦١]. فالكلمة/السنة هنا هي استحضار مستقبلي لمشهد امتلاء الجحيم بالجِنّة والناس بما هو مصداق تحقُّقها الحتمي وتمامها الحكمي.

وقد كان رائعاً فعل التعبير عن اختراق الزمن المستقبلي بصيغة الزمان الماضي (تَمّتْ) و «اختطاف» فصل من فصول جهنم من السرمد الباقي وردّه إلى الأزل/المنطلق، بحيث تقيم الكلمة/السنة الخاصة بالحدث نفقاً في مسافات الزمان فلا يكون كتاب السرمد إلّا نسخة مطابقة لكتاب الأزل وعلى مدى فاعلية الخاص في تمام كلمة الله، وتعتدل الأزمنة وتتعادل فيغدو الماضي بالكلمة الإلٰهية/الفعل حاضراً ومستقبلاً، والحاضر ماضياً ومستقبلاً، والمستقبل حاضراً وماضياً في آن معاً.

هكذا انضوى الحدث الخاص تحت لواء الكلمة/السنة الإلٰهية الخاصة به، حتى إذا وصل خطاب هذه الكلمة إلى الآية/١١٥ من سورة الأنعام وقعنا على حالة اقتران وتواصل بين الكلمة/السنة التي تحتوي صفة الخاص والكلمات/السنن الشاملة. إذ أن الآية المذكورة تضم ذكراً لهذين النمطين من السنن الربّانية: «وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً، لا مبدّل لكلماته، وهو السميع العليم»، وفاق ما سبق وذكرناه تحت عنوان: الكلمات/السنن. فإذا الكلمة/السنة المفردة هنا هي رسالة الإسلام ومشروعه المُتَتَمُّ باختتام نزول الوحي القرآني ومايتضمنه من كليات شرائع الصدق والعدل وأحكامها[٦٢]. ولا يمكن لهاتيك الرسالة المقدسة إلّا أن تنجز وتتمّ لأنها من كلمات الله وسننه، ولا مبدّل لكلمات الله ولا إخلاف في عهوده وسننه، ولا رادَّ لقضائه[٦٣].

بعد الآية/١١٥ من سورة الأنعام راحت الكلمة/السنة الإلٰهية تتوالى

---

٦١ ــ هود/١١٩.

٦٢ ــ الطباطبائي، محمد حسين ــ «الميزان» ــ المجلد/٧ ــ ص. ص/٣٢٨ ــ ٣٣٢.

٦٣ ــ القرطبي ــ (م.س) ص. ص/٢٥٠٦ ــ ٢٥٠٧.

في المسار ذاته: حمل صفة الخاص السنني الممهّد له بحدث خاص تعتدل الكلمة/السنة فيه أو تحيط به، وذلك وفاق توالي نزول الآيات الأُخرى التي تحتمل الدلالات ذاتها[64]

* «وما تفرقوا إلّا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم، ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم» ـــ الشورى/١٤.

* «أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله، ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم، وإن الظالمين لهم عذاب أليم» ـــ الشورى/٢١.

* «ولقد آتينا موسى الكتاب فاختُلِفَ فيه، ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم، وإنهم لفي شك منه مريب» ـــ فصلت/٤٥.

* «إلّا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني آثنين إذ هما في الغار، إذ يقول لصاحبه: لاتحزن، إنَّ الله معنا. فأنزل الله سكينته عليه وأيّده بجنود لم تروها، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى[65]، وكلمة الله هي العليا، والله عزيز حكيم» ـــ التوبة/٤٠.

من خلال هذا التحليل الدلالي التفريعي لآيات (الكلمات)/السنن في القرآن الكريم بات في إمكاننا إقامة بنيان حركة

---

٦٤ ـــ سبق ذكر هذه الآيات بغير نصها الكامل في الثبت الخاص بالكلمة/القضاء والسنن.

٦٥ ـــ قد يكون من نافل القول هنا التذكير بأن لفظ (الكلمة) في «كلمة الذين كفروا السفلى» لايفيد معنى السنة الذي تختزنه صيغ (الكلمة) الأُخرى الواردة في الآيات السننية التي جرى التوقف عندها. فاللفظ (كلمة) هنا منسوب إلى البشر لا إلى الله كما هي الحال في الصيغ الأُخرى، وبالتالي فإنَّ دلالات السنة الإلٰهية كلها تسقط عنه. أمّا معناه في الآية فيتضمن إشارة إلى ماقضى به الكافرون في دار «الندوة» عندما آئتمروا على اغتيال رسول الله (ص)، والكلمة في كل حال تتضمن معادلاً للشرك وفاق تفسير القرطبي، لكنَّها تظل خاضعة للسنَّة الإلٰهية التي تسمو بموجبها كلمة الله وتغل كلمة الكفر (انظر:

* الطباطبائي، محمدحسين ـــ «الميزان» ـــ المجلد/٩ ـــ ص. ص/٢٨٠ ـــ ٢٨٢.

* القرطبي ـــ (م.س) ـــ ص/٢٩٨٨).

دلالاتها في تموُّجها بين العام والخاص (أُنْظر الجدول رقم ٤) وانتظامها في مدار المنهج الثبوتي المطلق الذي تشكل في الخطاب القرآني بصيغ (الكلمات) و (الكلمة) و (الكلام) بحيث تتحول بذاتها إلى نظام سنني من نمط خاص داخل نظام السنن التاريخي الشامل للعالم المتشظي من صلب العقيدة الأساسية في الإسلام، وهي عقيدة التوحيد التي لا استقامة للمشروع الإسلامي الكوني إلّا من خلالها، ولا وجود لمنهج إسلامي في الحياة وماوراء الحياة إلّا بها وفيها، ولا ثبوتية ولا تحولية بموجب النواميس / السنن الإسلامية إلّا وفاقها.

إن التوحيد هو مُمَنْهِجُ نظام القيم الإسلامية كافة. وعلى هذا الأساس نفهم دلالات الثبات والشمول في النظام السنني الربّاني بصيغ (الكلمة في القرآن) بصيغتيه: العام والخاص، وبما هو تجلٍّ من تجليات عقيدة التوحيد، وفَلَك من أفلاكها. فمن ثبوتية التوحيد وشموليته تنبثق ثبوتية الكلمات / السنن وشموليتها لأنها إحدى تعبيراته الوجودية والتكوينية، وصفة من صفاته الذاتية، ونماذج من حقائقه الكلية: حقيقة الألوهية، وحقيقة الكون، وحقيقة الحياة، وحقيقة الانسان[٦٦].

وإذا كنا نتحدث عن الثبوتية الذاتية في نظام الكلمات / السنن بالدلالات المبينة آنفاً، فإن ذلك لايقتضي تجميد حركة الإنسان والفكر والحياة والعلاقات بين الإنسان والعالم «ولكنه يقتضي السماح لها بالحركة ــ بل دفعها إلى الحركة ــ ولكن داخل (ذلك النظام) الثابت» كما يقول سيدقطب،[٦٧] عندما أسماها: «الحركة داخل إطار ثابت وحول محور ثابت»[٦٨]. استتباعاً لنظام الصنعة الإلٰهية في الكون كله وإلّا كيف يمكن

٦٦ ــ قطب، سيد ــ «خصائص التصور الإسلامي ومقوماته» ــ ص/١٢٨.

٦٧ ــ قطب، سيد ــ (م.س) ــ ص/٨٥.

٦٨ ــ (م.ن) ــ ص/٨٦.

للوجود وللإنسان ولحركة التطور والارتقاء أن تنضبط ــ بل و أن تُفْهم ــ بغياب نظام ثابت وشامل؟ وأنّى للإنسان المعايير التطورية والمرجعية التي في ضوئها يمكنه أن يؤدي مهمّة الإستخلاف التي اضطلع بها إذا انتفت النواميس والحقائق الثابتة لهذا الكون المركب البالغ التعقيد؟. وأنّى للفكر الإنساني أن يتحرر من عبودية الأسرار الكبرى التي تحيق بالوجود وما قبله وما بعده، ومن عُقَد الهلع أمام المستقبل والمصير والحقيقة؟ وكيف لخليفة الله في الأرض أن يدير حركة العالم والنفس من غير نظام قيم ثابت يحدد أُطر الحق والباطل والعدل والظلم، ويرتب المسؤوليات، ويضبط الأخلاقيات السالبة والنزعات العدوانية وأفعال الإفراط والتفريط؟

ــ الجدول رقم ٤ ــ

الرقم التدرجي للآية وفاق تسلسل النزول	السورة ورقم الآية الحاملة للسنة بصيغ الكلمة	موقع ترداد السنة بصيغ الكلمة	نوع الدلالة
١	الأعراف/١٥٨	ــ	عام
٢	طه/١٢٩	ــ	خاص
٣	يونس/١٩	ترداد/٢	خاص
٤	يونس/٣٣	ــ	خاص
٥	يونس/٦٤	ــ	عام
٦	يونس/٨٢	ــ	عام
٧	يونس/٩٦	ترداد/٤	خاص
٨	هود/١٠	ترداد/٢و٣	خاص
٩	هود/١١٩	ــ	خاص
١٠	الأنعام/٣٤	ترداد/٥	عام
١١	الأنعام/١١٥	ترداد الخاص = ــ ترداد العام=٥و١٠	خاص + عام

١٢	الشورى/١٤	ترداد/٢و٣و٨	خاص
١٣	الشورى/٢١	ترداد/٢و٣و٨و١٢	خاص
١٤	الشورى/٢٤	ترداد/٦	عام
١٥	الكهف/٢٧	ترداد/٥و١٠و١١	عام
١٦	فصّلت/٤٥	ترداد/٢و٣و٨و١٢و١٣	خاص
١٧	الأنفال/٧	ترداد/٦و١٤	عام
١٨	الفتح/١٥	ترداد/٥و١٠و١١و١٥	عام
١٩	التوبة/٤٠	—	خاص

إن وجود السنن هو بمثابة الوجود الواجبي كما أن نفاذها نفاذ واجبي، وأي اهتزاز أو تلكؤ أو تأخر في نفاذ هذه السنن، «سوف يؤول إلى تميّع الحركة التاريخية وعدم انضباطها جزائياً، وبالتالي سيؤول إلى موقف نقيض لمفاهيم الحق والعدل»[٦٩] وصفات الكمال الإلٰهي الأُخرى، ولذلك جاءت الكلمات/السنن لتؤكد وتكرس ثباتها وحتمية نفاذها وعدم تبدُّلها أو تحوُّلها وشموليتها، عامة كانت أو تحت العام/الخاص. وبذلك أكَّد الخطاب القرآني على مبدئيتها وثقلها في مسار حركة التاريخ كما في مسار الوجود كله. فلن يسحب الله وملائكته البشر «إلىٰ الأمام» كما يقول عبدالحميد صديقي[٧٠]. وطالما أشار القرآن إلى أن قوانين الله لا تتغير لأنها ليست من صنع دول الأمم، ولا هي ناتجة عن المحيط الاقتصادي وظروفه، ولا عن وسائل الإنتاج وقواه، ولا عن سلطان العصبيات أو توازناتها[٧١].

٣ ــ الكلمات/الكلمة/السنن والتاريخ:

الملفت في صيغ (الكلمات)/السنن في تنوعها بين (الكلمات) و

٦٩ ــ خليل، عمادالدين ــ «التفسير الإسلامي للتاريخ» ــ ص/١٠٩.

٧٠ ــ صديقي، عبدالحميد ــ «تفسير التاريخ» ــ الترجمة العربية ــ ص/١٤٤.

٧١ ــ (م.ن).

(الكلام) و (الكلمة) في الآيات المعنية التسع عشرة أن القرآن الكريم يعتمد زمن الفعل المضارع أو ماينوب منابه في الإشارة إلى (الكلمات)= (الكلام) المنسوب الى السنن الربانية دائماً، بينما يعتمد زمانية الفعل الماضي في معرض تعبيره عن السنن الخاصة بلفظ (الكلمة)، ودائماً أيضاً. أي إن النص القرآني ينطلق من «قانون» تعبيري ثابت في صياغة وصناعة زمن السنن المتنقل بين المضارع والماضي بما يمثله هذان الفعلان/ الزمنان من دينامية خاصة مستمدة من طبيعة دلالات السنن المعبّر عنها، و «تأرجح» مفاهيمها بين العام والخاص في المعادلتين التاليتين:

أ ــ (الكلمات/الكلام)/السنن= العام = المضارع ــ أو ما في معناه[٧٢].

ب ــ (الكلمة) / السنة = الخاص = الماضي[٧٣].

---

٧٢ ــ الصيغ هي (وفاق تسلسل نزول الآيات):

ــ «يؤمن بالله وكلماته» ــ الأعراف/١٥٨، «لا تبديل لكلمات الله» ـ يونس/٦٤، «ويحقُّ الله الحقَّ بكلماته» ــ يونس/٨٢، «ولا مبدّل لكلمات الله» ــ الأنعام/٣٤، «لامبدل لكلماته» ــ الأنعام/١١٥ ــ «ويحقُّ الحقَّ بكلماته» ــ الشورى/٢٤، «ولا مبدّل لكلماته» ــ الكهف/٢٧، «ويريدالله أن يحقَّ الحقَّ بكلماته» ــ الأنفال/٧، «يريدون أن يبدّلوا كلام الله» الفتح/١٥.

٧٣ ــ الصيغ هي (وفاق تسلسل نزول الآيات أيضاً):

ــ «ولولا كلمة سبقت من ربك» ــ طه/١٢٩، «ولولا كلمة سبقت من ربك» ــ يونس/١٩، «وكذلك حقت كلمة ربك» ــ يونس/٣٣، «إن الذين حقت عليهم كلمة ربك» ــ يونس/٩٦، «ولولا كلمة سبقت من ربك» ــ هود/١٠، «وتمت كلمة ربك» ــ هود/١١٩، «وتمت كلمة ربك» ــ الأنعام/١١٥، «ولولا كلمة سبقت من ربك» ــ الشورى/١٤، «ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم» ــ الشورى/٢١، «ولولا كلمة سبقت من ربك» ــ فصلت/٤٥، «وجعل كلمة الذين كفروا السفلى، وكلمةُ الله هي العليا» ــ التوبة/٤٠.

وإذا كان النحويون يجمعون على اختلاف الدلالة بين الفعل المضارع والفعل الماضي من موقع حرفي وتقني، على أساس احتمال الأول معنى الحاضر والآتي، واحتمال الثاني معنى الماضي المنصرم، فإن القرآن، في استكنانه لدلالات السنن المقولة بصيغ (الكلام والكلمات والكلمة) يتحرر من هذا القيد «الإجرائي» ويرفع الفعلين إلى مستوى واحد مُسقطاً الفروقات التقنية إلى درجة التناظر والتعادل بين الأزمنة في الماضي والمضارع باعتبارهما متعلقين بحقيقة واحدة هي حقيقة المفهوم والمبدأ في الفعل الإلٰهي/الأمر الذي تنصهر فيه الأزمنة الممكنة فيما يترفع عن كل زمان، ويسمو فوق اعتبارية المعايير البشرية ومصطلحاتها. فاللا زَمان الرحماني يُعَلِّقُ مفعول أزمنة الأرضيين ويختزلها في واحدية زمانه/اللا زَمان وبهذا المعنى تتهاوى المسافات الفاصلة بين الماضي والحاضر والمستقبل، وتصبح «الكلمة التي سبقت من ربك» مستتمة دائماً لايعتريها تغيُّر أو تبدُّل، وإرادة الله متحققة بكلماته ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، وكلمة الفصل قضاءً حتمياً منذ الأزل وإلى أن يقدر الله أمراً كان مفعولاً بحيث تغور الأبعاد بين التقدير والتحقق الفعلي. وسبق أن رأينا نموذجا من نماذج «اختطاف» الزمان في سننه تعالى بالكلمة: «وتَمَّتْ كلمة ربك لأملأنَّ جَهَنَّمَ من الجِنَّةِ والناسِ أجمعين»[٧٤] عندما يُسْتَقْدَمُ المستقبل من تقنية زمنه ليتحوّل إلى ماضٍ تحقّق وانتهى بقفزة تضيع فيها هوية كل زمان إنساني، وكذلك هو الشأن الإلٰهي في قوله تعالى في سياق الكلمات/السنن: «إن الذين حَقَّتْ عليهم كلمة ربك لايؤمنون»[٧٥]، «وكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لايؤمنون»[٧٦].

بهدي هذه الدلالات يؤرخ القرآن الزمان، ولا «يُزَمِّنُ» التاريخ.

---

٧٤ ــ هود/١١٩.

٧٥ ــ يونس/٩٦.

٧٦ ــ يونس/٣٣.

تلك قوة التاريخ المتحول في القرآن إلى ماهوخارج سرد الحقائق التاريخية وأبعد من وصف ظاهرة من الظواهر أو حدث من الحدثان، عندما يتجلَّى في قلب مفاهيم الحقائق الثابتة، « ليس لأنها حقائق تتعلَّق بحادث معين وقع في زمن معين، بل لأنها حقائق خالدة دائمة تتعلَّق بطبيعة الأشياء»[٧٧] ومبادئها وسنن تطورها ومعادها، بحيث «تمتد وتمتد مرنة منفتحة شاملة، لكي تضم أكبر قدر من الوقائع، وتلامس أكبر عدد من التفاصيل والجزئيات، وتبقى دائماً الحصيلة النهائية، والرموز المكثفة، والدلالات الكبرى لحركة التاريخ»[٧٨] وتلك عظمة القرآن بسننه التي تنتزع التاريخ من سكونية الماضي والموت التدويني الوثائقي لِتُرقِّيَه إلى مستوى الفعل التكويني والحضور التأسيسي والرعائي للانسان والعالم. وهكذا «يتجاوز التاريخ في القرآن أُطره النظرية أو القصصية أو الأكاديمية، الى حركة وبحث وجهد وإبداع»[٧٩]، إذ يلتزم منهج السنن الإلٰهية الغائية[٨٠] «حيث ينتفي العبث واللّا وحيث تتحرك الحرية من شكلها.. المتميع الغامض، إلى عمل مدرك مخطط يقف به الإنسان في مواجهة الله والعالم»[٨١] فتغدو السنن الإلٰهية تعبيراً عن التعاهد الخالد بين الخالق والمخلوق، وبين المستخلِف والمستخلَف، وبين المستأمِن والمستأمَن، ونظامَ إنتاجٍ لنمط علاقات متوازن في أصالته بين الفرد والجماعة مُسْتَظِلٍّ بنواميس وبُنى «المخطَّط الإلٰهي» المنوَّه به سابقاً. وبهذا المعنى لايعود الإنسان مجرد «كائن حي» أو «حيوان عاقل» كما «تُعَلِّبُهُ» الأفكار

---

٧٧ ــ نصر، سيدحسين ــ «الاسلام» ــ ص. ص/٤٤ ــ ٤٥.

٧٨ ــ خليل، عمادالدين ــ (م. س) ــ ص/١٠٩.

٧٩ ــ (م. ن) ــ ص/١١١.

٨٠ ــ الصدر، السيد محمدباقر ــ «مقدمات في التفسير الموضوعي للقرآن» ــ ص. ص/١١٥ و ١٢١.

٨١ ــ خليل، عمادالدين ــ (م.ن) ــ ص/١١٠.

الوضعية، بل يعلو إلى منزلة خلافة الله في الأرض حيث يمسك بصولجان قيادة العالم، ويكتسب الحق في أن يستخدم فيه كل شيء استخداماً كاملاً[82] وبعد ذلك فليستحقّ البشرى والفوز العظيم في الحياة الدنيا وفي الآخرة من يستحقها، إذْ «لا تبديل لكلمات الله»[83] و «كذلك حقَّت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لايؤمنون»[84].

لقد جاءت السنن الإلٰهية المعبَّر عنها بصيغ الكلام صانعة زمنها وتاريخها الخاصين بما يتجاوز اتساعاً وشمولاً «نسبيات البيئة الجغرافية أو الوضع الاقتصادي لكي تتسع للفعل التاريخي نفسه؛ الفعل القائم على القيم الثابتة الدائمة في كيان الإنسان، والتي تنبثق عنها المواقف التاريخية سلباً وإيجاباً»[85] وماتلك القيم/الكلمات/السنن سوى قوانين الله المفاضة عن إرادته والمثلة لعلمه وحكمته وتدبيره في الكون، فلا يستثنى منها أحد ولا أُمة، وهي مستمرة مضطردة ممّا يمنحها صفة «القانون المعلمي التاريخي»، وفاق تحديد السيد محمدباقر الصدر[86].

الكلمة/السنن الإلٰهية إذن، كما السنن الإلٰهية الأُخر في القرآن، تمسك بيدها مفتاح الحدث التاريخي بحيث تتماهى زمانيته فيها، وتتحدر قضيته منها، وترتبط دلالاته بها. فها هي الكلمة الإلٰهية/السنة، القاضية بتأجيل الحسم الجزائي الفاصل فيما اختلف الناس ديناً ودنيا إلى يوم القيامة، تتحرك بين مسؤوليتين ناتجتين عن مسألة الخلاف ذاتها: مسؤولية الطرف

---

٨٢ ــ صديقي، عبدالحميد ــ (م.س) ــ ص. ص/١٣٢ ــ ١٣٣.

٨٣ ــ يونس/٦٤.

٨٤ ــ يونس/٣٣.

٨٥ ــ خليل، عمادالدين ــ (م.ن) ــ ص/١٠٨.

٨٦ ــ الصدر، السيد محمدباقر ــ (م. س) ــ ص. ص/٦٠ ــ ٦١.

الذي نَعَتَتْهُ آيات الكلمات/السنن بـ «الذين فسقوا»[87] و «المجرمين»[88]، و «الظالمين»[89]، و «أصحاب الشك المريب»[90] و «الكافرين»[91]... الخ، ومسؤولية الطرف الإيجابي الذي جهرت بذكره الآيات التسع عشرة مرة واحدة فقط في الآية/٦٤ من سورة يونس، ولَحَظَتْهُ استتاراً في بقية الآيات، بعكس الطرف الأول، وذلك عندما حددته بالذين «لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة».

أما مسؤولية الطرف الأول فهي ذات طابع جزائي يشمل الدارين: الأُولى والأُخرى، ومحصلته فرض نوعين من «العقوبة»، الأول منها غير مباشر ويتمثل في إمهال أصحابه في (فسقهم) و (إجرامهم) و (شكهم المريب) و (كفرهم)... الخ، وتركهم يعمهون على غاربهم في الدنيا محرومين من نِعَمِ الإيمان بالله وكلماته[92]، بينما يتهيّأ لهم الثاني بالعقوبة الحقيقية المباشرة ويتحضّر، يوم يدعو الداعي في الآخرة إذْ ينتظرهم «عذاب أليم»[93].

وأمّا مسؤولية أتباع الطرف الثاني فتضمن نوعين من المثوبة: البشرى في الدنيا والبشرى في الآخرة، جزاءَ وقوفهم إلى جانب الحق الذي يأبى الله سبحانه إلّا أن يُحِقَّه بكلماته، وليس عبثاً، في هذا السياق، أن يتكرر ذكر إحقاق الله الحق بكلمته وبكلماته في خمس آيات، أي ما يعادل نسبة (٢٦/٣١٪) من مجموع الآيات السننية التسع عشرة، وهي نسبة مرموقة بلا

---

٨٧ ـــ يونس/٣٣.

٨٨ ـــ يونس/٨٢.

٨٩ ـــ الشورى/٢١.

٩٠ ـــ فصلت / ٤٥.

٩١ ـــ الأنفال/٧.

٩٢ ـــ يونس/٣٣، و٩٦، والفتح /١٥.

٩٣ ـــ الشورى/٢١.

ريب.

وفي كل حال، لن يكون في قدرة أي كائن بشري أن يتجاوز فاعلية هذه السنن المطلقات أو أن ينجو من مسؤولياتها. إنَّها الكلمات التي لا تتبدل لأنها لمبدع الكائنات الذي لن يجد الإنسان من دونه ملتَحداً، وفاق ماطمأن الله به الرسول، وأكَّد من خلاله للخلق أنه لا ملاذ ولا ملجأ يحميان من قدرته وسلطانه وقوانينه: «واتلُ ما أوحي إليك من كتاب ربك، لامبدِّل لكلماته، ولن تجد من دونه ملتَحَداً»[94]*

إن عالم هذه الكلمات / السنن إذَنْ مشرع على المطلق، وبالتالي فهو يقرأ في صفحات كتاب الفرد كما في صفحات كتاب **الأُمة** مخترقاً كل زمان، مُرخِياً عنان حرية تسطير الكتابين للمكلَّفين بما يشاءان حتى يعدل حجم الحرية تلك حجم المسؤوليات التي تستتبعها، ويصبح مفهوماً، استطراداً، سبب (أو أسباب) إطلاق القرآن الكريم في الكلمات/السنن صيغ مخاطبته للناس وتوَجُّهه إليهم كافة، دون تحديد أو تخصيص، مباشرة أو غير مباشرة، بحيث تطوق الكلمات/السنن الساحة التاريخية بِرُمَّتها، وتحدد علاقاتها وأواصرها داخل حركة «الأبعاد الثلاثة» أو «العلل الثلاث» التي نظر القرآن إليها، وتوقَّف عندها المفكرون المسلمون[95] معتبرينها موضوعاً للسنن التاريخية. وهذه الأبعاد/العلل هي: المكَلَّف/العامل،

---

٩٤ ــ الكهف/٢٧.

* انظر:

ــ القرطبي ــ (م. س) ــ ص/٤٠٠٦.

ــ الخوارزمي ــ (م. س) ــ جـ/٢ ــ ص/٤٨١.

٩٥ ــ راجع على سبيل المثال لا الحصر:

ــ الصدر، السيد محمدباقر ــ (م. س) ــ ص. ص/٧٥ ــ ٨٠.

ــ المطهري، مرتضى ــ «المجتمع والتاريخ». (م. س) ص. ص/٢٣ ــ ٣٠.

والهدف/الغاية، والمكَلَّف/المجتمع، أو ما يسميه الفلاسفة ـ بالتسلسل ـ: العلة الفاعلية، والعلة الغائية، والعلة المادية. وبذلك يكتمل عقد الكلمات/السنن من خلال كتاب الأُمة/المجتمع ليشمل العمل التاريخي، وليجعله «حاملا لعلاقة مع هدف وغاية، ويكون في نفس الوقت ذا أرضية أوسع من حدود الفرد، فيتخذ من المجتمع علة مادية له، وبهذا يكون عمل المجتمع[96]» أو الجماعة، وتترتب عليه مسؤولياتها. وعلى هذا الاساس يصح وصف السنن الإلٰهية/الكلمات بـ «نظام الكون» و «قانون الأسباب»[97] لما يحتشدان به من دلالات عَبْرَ الآيات السننية/ (الكلامية) موضوع البحث[98]، وذلك عندما حددت هذه الأخيرة الأهداف والغايات الوجودية للفرد والمجتمع وسيرورتها، وعندما أسندت المهمات، وبينت المسؤوليات، وعندما رسمت ونظمت ساح الحركة البشرية في الكون ومعايير وضوابط وأقيسة حريتها حقاً وعدلاً وصدقاً ورحمة لتجعل «كلمة الذين كفروا السفلى، وكلمة الله هي العليا»[99] بتنكيس راية الشرك والباطل، ورفع راية الحق والتوحيد[100] بما هو هذا الأخير «أساس لوحدة العالم كله»[101*]

وهي تُنَظِّم حياة الفرد والأُمة وأهدافها ومسؤولياتها في الكون، وهي تربيها «إلٰهياً»، نَظَمَتْ الكلمات/السنن مبادئ معرفة النفس والأُمة والعالم، وشكلت مصدراً أساسياً من «مصادر المعرفة الإنسانية»[102].

٩٦ ــ الصدر، السيد محمدباقر ــ (م. ن) ــ ص. ص/٧٧ ــ ٧٨.

٩٧ ــ المطهري، مرتضى ــ «العدل الإلٰهي» ــ (م.س) ــ ص/١٤٠.

٩٨ ــ انظر ثبت الآيات في مكان آخر من هذا البحث.

٩٩ ــ التوبة/٤٠.

١٠٠ ــ القرطبي ــ (م.س) ــ ص/٢٩٨٨.

١٠١ ــ اقبال، محمد ــ «تجديد التفكير الديني في الإسلام» ــ الترجمة العربية ــ ص/١٦٩.

* أنظر أيضا: ــ الجندي، أنور ــ «الاسلام وحركة التاريخ» ــ ص/٤٨٦.

١٠٢ ــ اقبال، محمد ــ (م.ن) ــ ص/١٥٩.

وعبر مستوييها الآنفين: الأفقي العام المتعلق بأنماط الكلمات/ المفاهيم، والعمودي السنني. أقام خطاب الكلمة في القرآن الكريم نظامين دلاليين متداخلين، بل متكاملين، لكنهما من سنخ واحد، ويخدمان عقيدة واحدة هي عقيدة التوحيد، ويلخصان مشروعاً كونياً واحداً هو الإسلام، ويتحركان في كل جهات الوجود ويضبطان صيرورة الإنسان توصلاً إلى هدف واحد هو وحده لامتناه، ذلك أن ذات الهدف لامتناهية.

لقد أبرزت قراءتنا في النظامين مبادئ الثوابت والمتحولات في المسيرة الارتقائية للإنسان نحو الله بما هو خليفته في الأرض والمستأمَن على قيادة عالمه، وبيّنت كيف رسمت تلك الثوابت والمتغيرات معالم السبيل المؤدية إلى ذاك المنتهى، وكيف حَدَّدَتْ المسؤوليات الجسام المترتبة على أنماط الحرية الممنوحة للقيّمين على تنفيذ هذه المهمة، أفراداً كانوا أم جماعات وأُمماً، وكيف زَوَّدَتهم بعدة «الكدح» الضرورية لبلوغ المقصد بسلام، وحذّرتهم من المهالك الدنيوية القائمة دونه، وألقت عليهم الحجة. وبهذا المعنى قدّمت الكلمات/المفاهيم والكلمات/السنن مشروعاً معرفياً مبدئياً للحياة والتاريخ، وانساق التطور التاريخي يختزن ــ إضافة إلى أُصول العلاقة الإيجابية بين الخالق والخليقة ــ معايير تقويم وضبط تلك العلاقة وحقوق كل من طرفي عقدها ومعاهدتها، بحيث احتملت (الكلمة) القرآنية من المفاهيم وأشرعت من الأبعاد والآفاق مالا نجد له مثيلاً في أيِّ خطاب ديني أو فلسفي عرفه التاريخ، إلى درجة يتثبّت الباحث فيها من أن النموذج الإنساني والحضاري الذي تخاطبه تلك الكلمة وتحرص على تكوينه، يختلف حقاً عن أيِّ نموذج إنساني وحضاري آخر، وذلك بقدر ماهي الأيديولوجية الإسلامية مختلفة ومتميزة عن أية أيديولوجية أُخرى. وكأنَّ تلك (الكلمة) القرآنية غيرها في لغات الآخرين. وإذا كانت تقول أحياناً ما يُخَيَّلُ إلينا أنه يماثل كلام الآخرين، وقلّما هي كذلك، فإن هذا لايعدو كونه اشتباهاً مصدره النظرة

الشكلية والكلية إلى بعض الملامح لا إلى الحقيقة، وعن النظرة إلى المفردة، لا إلى مدلولاتها ودلالاتها.

هكذا تكون (الكلمة) في القرآن الكريم حشداً من الرؤى المتنوعة المستلة من الإسلام الذي لاينظر إلى البشر والموجودات الأُخرى إلّا نظرة توحيدية إلٰهية. ولا يصنع إلّا الموحدين، «اذ لايرى للإنسان ـــ سواء في حركته التكوينية أو حركته التكليفية والتشريعية ـــ هدفاً غيرالله»[١٠٣]. فمن عقيدة التوحيد تشكلت مادة (الكلمة) القرآنية، بما هي أساس فلسفة كونية قائمة بذاتها، ومظهر من مظاهر تجليها.

لقد تكلّمت (الكلمة) القرآنية ـــ وفاق مارأينا ـــ «لغة» خاصة جديدة وألفت أنساقاً مفهومية جديدة، وأقامت صرحاً منهجياً يضاف إلى الصروح المنهجية القرآنية الأُخرى في قراءة الإنسان والتاريخ عبر «إعادة الكثرة إلى الوحدة»[١٠٤] وتفعيل الحضور التوحيدي في عالم الشهادة والآفاق.

يبقى ان نُنَوِّهَ أخيراً بأن تناولنا، بالقراءة التفصيلية، مفهوماً دلالياً واحداً من مفاهيم خطاب (الكلمة) في القرآن الإثنين والعشرين، هو الكلمات/الكلام/الكلمة السنن الإلٰهية ليس سوى الخطوة الأُولى في مشروع دراسة أشمل لمفاهيم «الكلمات» الإحدى والعشرين المتبقية. نسأله سبحانه أن يوفقنا ويوفق غيرنا من الباحثين المهتمين إلى متابعة قراءتها واستكناه أسرارها.

وفي كل حال، نرجو أن نكون قد وضعنا بين أيدي هؤلاء المادة التأسيسية والنموذج التقني الضروريين لهذا النمط من الدراسات القرآنية. أمّا الإجتهاد المنهجي والتطبيقي فشأنهم وخيارهم.

والله من وراء القصد.

---

١٠٣ و ١٠٤ ـــ الخميني، الإمام روح الله الموسوي ـــ «الآداب المعنوية للصلاة» الترجمة العربية ـــ ص. ص/٣٠٥ ـــ ٣٠٦.

ثبت المراجع

ــ ابن ابي طالب، الإمام علي ــ «نهج البلاغة» ــ دارالكتاب اللبناني ــ ط/١ بيروت، ١٩٦٧.

ــ إبن منظور ــ «لسان العرب» ــ دارلسان العرب، بيروت، (د.ت).

ــ ابن هشام ــ «أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك» ــ المكتبة التجارية الكبرى، ط/٤، القاهرة، ١٩٥٦.

ــ إقبال، محمد ــ «تجديد التفكير الديني في الاسلام» ــ الترجمة العربية، دارآسيا، بيروت، ١٩٨٥.

ــ أنصاريان، علي ــ «الدليل على موضوعات نهج البلاغة» ــ طهران، ١٩٧٨.

ــ بدوي، عبدالرحمن ــ «التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية» ــ دارالمطبوعات، الكويت ــ ودار القلم، بيروت ــ ط/٤، ١٩٨٠.

ــ البيهقي، أبوبكر أحمدبن الحسين بن علي ــ «كتاب الأسماء والصفات» ــ دارإحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).

ــ الجندي، أنور «الإسلام وحركة التاريخ» ــ دارالكتاب اللبناني، بيروت و دارالكتاب المصري ــ القاهرة، ١٩٨٠.

ــ الحكيم، سعاد ــ «المعجم الصوفي» ــ دار ندرة، بيروت، ١٩٨١.

ــ خليل، عمادالدين ــ «التفسير الاسلامي للتاريخ» ــ دارالعلم للملايين، بيروت ١٩٨٥.

ــ الخميني، الإمام روح الله الموسوي ــ «الآداب المعنوية للصلاة» ــ الترجمة العربية ــ طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٨٤.

ــ الخوارزمي، أبوالقاسم الزمخشري ــ «الكشّاف عن حقائق التنزيل في وجوه التأويل» ــ الدار العالمية، بيروت، (د.ت).

ــ الدامغاني، الحسين بن محمد ــ «قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم» ــ دارالعلم للملايين، ط/٤، بيروت، ١٩٨٣.

ــ الزبيدي، محيي الدين ــ «تاج العروس من جواهر القاموس» ــ المطبعة الخيرية، ط/١، القاهرة، ١٣٠٦هـ.

ــ سبحاني، جعفر ــ «معالم التوحيد في القرآن الكريم» ــ دارالأضواء، ط/٢ بيروت، ١٩٨٤.

ــ سليمان، سمير ــ «خطاب العلم والتوحيد ــ قراءة في خطاب العلم الإلهي من خلال نهج البلاغة» ــ مجلة المنطلق، بيروت، العدد/٣٥، ــ أيلول/١٩٨٧.

ــ شووان، فريدهوف ــ «حتى نفهم الإسلام» ــ الترجمة العربية ــ الدار المتحدة للنشر، بيروت، ١٩٨٠.

ــ الشيرازي، صدرالدين ــ «الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة» ــ داراحياء التراث العربي، ط/٣، بيروت، ١٩٨١.

ــ الشيرازي، صدرالدين ــ «مفاتيح الغيب» ــ مؤسسة مطالعات وتحقيقات فرهنگي ــ طهران، ١٣٦٣ هـ.ش.

ــ الصدر، السيد محمدباقر ــ «مقدمات في التفسير الموضوعي للقرآن» ــ دارالتوجيه الإسلامي، بيروت ــ كويت، ١٩٨٠.

ــ صديقي، عبدالحميد ــ «تفسير التاريخ» ــ الترجمة العربية ــ دارالقلم، الكويت، ١٩٨٠.

ــ الطباطبائي، السيد محمدحسين ــ «الميزان في تفسير القرآن» ــ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط/٢، بيروت، ١٩٧٢.

ــ الطباطبائي، السيد محمدحسين ــ «القرآن في الاسلام» ــ الترجمة العربية، طهران، ١٤٠٤هـ.

ــ الطباطبائي، السيد محمد حسين ــ «بداية الحكمة» ــ دارالمصطفى للطباعة والنشر، ط/٢، بيروت، ١٩٨٢.

ــ عبدالباقي، محمدفؤاد ــ «المعجم المفهرس للألفاظ القرآنية» ــ داراحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).

ــ الفيروز آبادي، مجدالدين ــ «القاموس المحيط» ــ المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، (د.ت).

ـ القاشاني، كمال الدين عبدالرزاق ـ «اصطلاحات الصوفية» ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨١.

ـ القرطبي، أبوعبدالله محمدبن أحمد الأنصاري ـ «الجامع لأحكام القرآن» ـ دارالشعب، القاهرة، (د.ت).

ـ قطب، سيد ـ «خصائص التصور الاسلامي ومقوماته» ـ دارالشروق، ط/٦، بيروت، ١٩٧٩.

ـ المطهري، مرتضى ـ «المفهوم التوحيدي للعالم» ـ الترجمة العربية ـ دارالتيار الجديد، بيروت، ١٩٨٥.

ـ المطهري، مرتضى ـ «الهدف السامي للحياة الإنسانية» ـ الترجمة العربية ـ منظمة الإعلام الإسلامي، طهران، ١٤٠٣ هـ ق.

ـ المطهري، مرتضى ـ «معرفة القرآن» ـ الترجمة العربية ـ دارالتعارف، بيروت (د.ت).

ـ المطهري، مرتضى ـ «المجتمع والتاريخ» ـ الترجمة العربية ـ وزارة الإرشاد الإسلامي، طهران، ١٤٠٢ هـ.ق.

ـ المطهري، مرتضى ـ «العدل الإلهي» ـ الترجمة العربية ـ الدار الإسلامية، ط/٢، بيروت، ١٩٨٥.

ـ نصر، سيد حسين ـ «الإسلام» ـ الدار المتحدة للنشر، بيروت، ١٩٧٤.

- CHOUÉMI, Moustapha- "Le verbe dans le Coran"
- Ed: Librairie Klincksieck, Paris, 1966.

منظمة الاعلام الاسلامي
معاونية الرئاسة للعلاقات الدولية
طهران- ص.ب- ١٤١٥٥/١٣١٣
الجمهورية الاسلامية في ايران

السعر: ٢٠٠ ريال